على قهوة في شبرا

على قهوة في شبرا

رواية

هاني صبحي

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٧٩٨-٠٣-٨

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠١٩/٢٨٧٧١

الطبعة الأولى: يناير ٢٠٢٠

الفؤاد للنشر التوزيع

برج سانت فاتيما، أمام جنينة مول، مدينة نصر

Alfouad_publishing@hotmail.com

Facebook.com/fouadpublishing

الفؤاد للنشر و التوزيع

غلاف: د. بولا وجيه

تنسيق داخلي: د. بولا وجيه



©

هذا الكتاب يحمل رأي ورؤية الكاتب وحده، ولا يمثل الدار أو أي من العاملين بها.



هاني صبحي

الفؤاد للنشر والتوزيع

اهداء

إلى رفيقة الروح.. الزوجة والصديقة.. أم العيال العشرية

وإهداء خاص:

إلى الأستاذة صاحبة القلم الشريف الوطني الحر، نصيرة المهمشين والمكافحين والناس اللي محطوط عليهم..هند عبد الله



مقدمة

قهوة محيي!!

قهوة محيي.. قاعة مؤتمرات الغلابة.. ملح الأرض.. الريسبشن اللي فيه مكتبك اللي بتعمل فيه لقاءاتك المهمة مع الضيوف.. أو اجتماع عاجل.. أي عاجل.. سواء موعد عمل.. اتفاقيات صفقات.. جلسة مصالحة.. تجميع فرقتك الخماسي لكرة القدم.. انتظارك غير المريب لفتاتك وهي معدية. أنت لو غريب عنها فلقبك فيها الباشا سواء داخل عليها بالبدلة أو بالشبشب والبيجامة.. ولو من روادها فأنت حرفياً صاحب القهوة.. لا غضاضة أبداً من وقفتك على النصبة تعمل لنفسك كوباية الشاي، اللي ممكن تقعد بالساعات متشربش غيرها.. مفيهاش ويتر هيحوم حواليك بابتسامته المصطنعة المتكلفة وفي إيده الشيك.. الترابيزات كلها بتاعتك طالما فاضية.. هي الملاذ لو قرفان لأنك لسبب أو لآخر عليها هتنبسط، وهي المكان المناسب لو مبسوط عشان هيتشارك معاك في انبساطك اللي يعرفك واللي ميعرفكش.. مش هتضطر تستحمل لزوجة اللي بيحاسبك وهو بيتصنع توديعك بمودة زائفة طمعاً في البقشيش،



لأنه مش عايز منك بقشيش. ولو كنت زبون معتاد فانت صاحب المكان، ولو مفيش فلوس، النوتة موجودة دون ضجر أو إحراج.. ما أنت راجع مهما غبت. قعدتك ممكن تيجي جنب مهندس.. محامي.. عواطلي.. طالب.. كهربائي.. سباك.. كله سواسية ومفيش طريقة معاملة يمتاز بها شخص عن شخص..

الجميع بيشرب من الكوبايات اللي مش دايمًا نظيفة بالقدر الكافي، ولما يعطش فلا غضاضة من شرب المية من الكوباية المستقر في قعرها بعض من تفل الشاي.. مفيش مشكلة خالص.. أصلك قاعد على قهوة محيي حيث لا زجاجات ميه معدنية.. لا شاليموه.. لا مناديل.. لا حسوكة كافيهات من أي نوع.. دوشة غالباً، لأ دائماً.. هتسمع نقاشات سياسية بأبعاد فلسفية ميتافيزيقية شعبية فريدة بين الفرارجي والنقاش يتخللها رؤى عميقة ومجموعة من الأسئلة الوجودية اللي دايماً لها إجابات حماسية زاعقة مع عقد مقارنات ميقدرش عليها موليير ذات نفسه في علم المنطق في الجمع بين قانون الذاتية وارتفاع سعر الفراخ في سوق الجمعة.. هتلاقي في وسط كل ده راديو شغال عليه برنامج أو أغنية أو كاسيت عليه آخر شريط لكتكوت الأمير أو شفيقة، أو تلفزيون عارض برنامج علمي أو مسلسل مجهول الهوية. لا أحد يكترث للي معروض.. المهم



الدوشة.. دوشة صبي وهو بينده على الطلبات بلغتهم ومفرداتهم الخاصة.. طرقعة المعالق والكوبيات.. صرخات الفائز في عشرة طاولة ولمعة عينه وفرحته بلذة الانتصار الصغير والإنجاز اللي هيظبطله يومه ومزاجه على وقع خبط قطع الدومينو في الترابيزة المجاورة.. دوشة.. لكنها متناغمة ومتجانسة وغير مزعجة على الإطلاق، لدرجة انك ممكن تلاقي اللي بيقرا كتاب أو جريدة أو اللي بيراجع المراجعة النهائية قبل ما يقوم على الامتحان.. على القهوة دي اتحلت مشاكل وقضايا واتصالح ناس في قعدات عرب.. بتحتويك في كل حالاتك ومستنياك مهما غبت.. وكرسيك فيها دايماً موجود ومكانك طالما قصدتها دايمًا محجوز.

●●●



بلاك فرايداي !!

وها قد أتى الجمعة.. بعد أسبوع كامل من المرمطة المعتادة في مطحنة أكل العيش التي لا ترحم ولا تهدأ بأحداثها وتفاصيلها المملة الروتينية المتشابهة دايما.. كان قد سبقه فرمان منزلي رئاسي ليلة الخميس بأن الصحيان لأي سبب مرفوض رفضاً قاطعاً– مع وعد خامس أو سادس مش فاكر أني أخرجهم آخر النهار.. مش عارف بالضبط هقدر فعلا أفرج عنهم وأفسحهم ولا الشيطان هيلعب في دماغي وتنجح إحدى حيل التمارض وإدعاء الإرهاق في إنها تحنن قلب المدام اللي أنا عارف إن هي عارفة إن أنا بستهبل بس بتبلعها بمزاجها أحيانا، وأحياناً بتبقى معركة فكرية بتنتهي دايما بانتصارها في صورة لوية بوز وبعض الهمهمات المرعبة اللي بتخلي قراري بأني أنزلهم وأروح بيهم الواحات أهون بكتير من سحابة النكد اللي بتحوم جوه المنزل منتظرة الإشارة بس..

المهم إن بعد كل ده حدث الشيء اللي ضرب كل المخططات والأفكار دي في مقتل مع وقع رنات موبايلي اللي معرفش ليه تركته بالقرب مني.. أو لم أغلقه من الأساس.. رنات كسرت حالة



الصمت المطبق للغرفة وشقت إضاءة الموبايل الخفيفة الظلام اللي يوحي بأن الفجر نفسه لسه مطلعش..

انتفضت كالعادة وأنا ببرطم وبلعن كل العوالم الخفية اللي ما وراء الطبيعة اللي موراهاش غيرى في يوم أجازتي اللي عمره ما زبط مع طموحاتي في الأنتخة والنوم أبداً.. واتجهت نحو التليفون بخطوات متخبطة وكأني خارج لتوي من خمارة بلدي، ليستقبلني عدو الحياة، الكومودينو، صائداً صباع رجلي الصغير في حادثة أقل ما توصف أنها مروعةـ والأصعب منها هو اضطراري لحبس أنفاسي وكتم صوت صراخي بإيدي فوق فمي عشان العيال متتسرعش، والاكتفاء بأداء رقصة تشبه تماماً رقصات قبيلة موهيسي في تنزانيا في موسم صيد الجاموس..

المهم الموضوع ده خد له ثواني كانت كفيلة بانتهاء المكالمة اللي ملحقتش أرد عليها، ومن ثم يأس المتصل من إني أفتح عليه، وفجأة أضاءت الغرفة ولقيت المدام بتسألني:

ـ خير يا "شريف" مين اللي بيتصل؟

لقتني بقولها بصوت متشنج:



ـ ليه كده بقى؟ ليه يعني؟

ـ ليه إيه؟ أنا عملت حاجة؟!

ـ وحيات مينا لو حلفت لك إني كنت عايز أقولك الساعة كام مش هتصدقي.

ابتسمت بتفهم واضح لأنها عارفة أني لما بأصحى بدري بابقى كأني فايق من غيبوبة، مش نايم، وردت:

ـ الساعة ٥:٣٠ صباحاً.

اتحركت ناحية التليفون عشان اشوف مين اللي بيتصل في الوقت ده.. وما إن وقعت عيني على اسم المتصل حتى اترسم شبح ابتسامة ساخرة على شفايفي وحطيت إيدي الاثنين على الرأس.. إنه جرجس.. وجرجس تقريباً منذ أن تركت شبرا من ٨ سنين اتصل بيا فقط حوالي ٤ مرات كلهم لإبلاغي بحالات وفاة.. وجود اسم جرجس على الموبايل كان كفيل بأني ألغي أي قرار بالاستسلام للكسل من جديد والعودة للنوم.. بالعكس.. عينيا فتحت وحواسي كلها بدأت تعود بالتدريج للانتباه.



جرجس.. يعني حد مات وفيه واجب عزاء لازم أقوم بيه، فاتصلت أنا المرة دي..

- ألو يا جرجس صباح الخير

- صباح الخير يا شريف.. واحشني والله.. أنا آسف عارف أن الوقت بدري ومعلش لو كنت أزعجتك.. بس أنا عارف أنك طول عمرك صاحب واجب ومبتتأخرش على..

كنت خلاص على وشك الانفجار في وشه صارخاً "يا ابني أنت بتحكيلي فيلم مشوق أو قصة بوليسية. انجز مين اللي مات"، لكني تمالكت أعصابي وقدّرت اهتمامه أصلاً.. هو كده فيه ناس طبعها أن مع حدوث أي ظرف طاريء أو حالة وفاة بتجري على تليفونها متطوعة عشان تقوم بدور وكالة الأبناء لإخبار باقي الناس بالموضوع.. قاطعته بهدوء:

ـ تمام تمام يا جرجس.. خير فيه إيه؟

ـ عمك المقدس مقار.. أبو مايكل صاحبنا ما أنت عارفه اتوفى من نص ساعة في مستشفي الساحل وإحنا هناك دلوقتي، وعلى الساعة



٨ كده هنكون خلصنا الإجراءات والتغسيل وهنطلع بيه على المدافن اللي جنب كنيسة العذراء بيجام.. عارفها؟

ـ عارفها طبعا يا جرجس، إحنا دافنين فيها أمي الله يرحمها. تمام يا جرجس متشكر جداً والبقية في حياتك.. أنا جايلكم على المستشفى.. سلام.

قفلت وبصيت لمراتي وقلت لها:

ـ قليل البخت يلاقي موتة في الأجازة.. حضريلي الحمّام واعمليلي أي حاجة في رغيف.. اليوم هيبقى طويل.

ـ مين اللي مات يا شريف؟

ـ ده عم مقار الله يرحمه.. المرتين اللي شفته فيهم من ساعة ما اتجوزت مكانش بيقول لي غير الله يخرب بيتكم لبيت ٢٥ يناير.. انتو اللي ضيعتوا البلد.. جمعة مباركة.





واجب عزاء !!

وصلت المستشفى على مهلي وكنت متعود أتأخر شوية هرباً من العادات المعروفة عشان اسمع أقل قدر ممكن من صراخ النسوان المعتاد وجمل الفراق واللوعة المحفوظة بعناية وبيتسلمها جيل بعد جيل اللي بتأذيني عصبياً ونفسياً. وإن كنت عارف أن مفيش مفر منها سواء في الكنيسة وهما بيصلوا أو أثناء وضعه في المقبرة، وبالفعل دخلت الفناء اللي قدام الثلاجة وشفت عربية نقل الموتى واقفة..

كان كل اللي شاغلني إني أدوّر بعينيا على مايكل.. هو اللي يخصني في الليلة عشان أوريه وشي ويعرف إني جيت أعمل الواجب، لأن الحاجات دي بتفرق من باب كله سلف ودين، وجاملتني النهاردة أجاملك بكرة، وهكذا، لأني حرفياً وبرغم أني تلقائيًا بادعي لأي متوفي بالرحمة والمغفرة مهما كان.. إلا أني أبدا مكانش ممكن في يوم من الأيام أجي لعم مقار حباً فيه هو شخصيا أو حزناً على وفاته.. مجرد سماع اسمه على الصبح في التليفون أعادلي ذكريات استغلال



نفوذه أيام الحزب الوطني ومخازنه ومحلاته اللي كانت بتتبدر دعايا وبروباجندا لمرشحيه من الحرامية والنصابين وتجار الصنف، ثم دوره ببلطجيته المأجورين في موقعة الجمل وكراهيته وعدائيته تجاه أي شخص أو شيء يخص ٢٥ يناير.. كان في طليعة المدافعين عن المجلس العسكرى بعدها كقشاية يتعلق بيها كل اللي زيه في محاولة لعودة كل شيء إلى يوم ٢٤ يناير.. مكنتش بحتك بيه كتير عشان صداقته القديمة بوالدي لحد ما اتجوزت بعدها بشهور وسبت له شبرا باللي فيها.. ويادوب كانت بتوصلني أخباره من وقت للثاني عن طريق مكالمة أو مقابلة لصديق.. كنت متوقع إن غالبا محدش هيكون موجود من شلة زمان اللي يعرفوني وأعرفهم.. مايكل أصله من الناس اللي خدت جنب من زمان وكان برجماتي أوي ومركز مع نفسه ومستقبله وأهدافه الشخصية سواء الاجتماعية أو المادية بعيداً حتى عن فلوس أبوه، رغم أنها كانت في ظهره طبعاً.. أحلامه كانت سابقة فكرة أنه يبقى مرتبط بشلة اهتماماتها في فترات الشباب والمراهقة كانت القهوة والكورة والتسكع مع البنات جنب الدراسة.. واللي شغال شغلانة أهو بيشتغلها من منطلق ان الأيد



البطالة نجسة وبرضه مستقره الأخير على القهوة بالليل دون طموحات إضافية..

لمحته بالفعل من بعيد واقف قدام باب الثلاجة.. رسمت بسرعة علامات متجهمة بعض الشيء لتناسب الموقف واتجهت إليه.. وفي طريقي اتكعبلت في جرجس اللي صحاني وبلغني بالخبر.. سلمت عليه ورحنا نعزيه.. شكله متغيرش كتير عن زمان.. نفس النظارة وتسريحة الشعر اللي على جنب اللي سافر بيها على دبي من سنين.. يا دوب بس شوية خصلات بيضا على جانبي الشعر مع بروز كرش لم يخفي شياكة الحزام رغم تأثيره على المنظر العام لدخلة القميص جوه البنطلون.. افتكرني على طول وشكرني على مجيئي.. كانت نظراته ليا طويلة نوعا ما بما يوحي أنه عايز يقول لي اتغيرت يا شريف وشعرك خف ودقنك ملاها الشيب ومن إمتى بتلبس نظارة؟ بس المؤكد أنه أجّل تساؤلات تبدو غير منطقية لحالة الحداد والحزن اللي لازم يبدو عليها..

شوية وخرج الصندوق.. واضطريت الحقيقة بشكل عفوي –على غير رغبتي تماماً– في الهرولة ناحيته نظراً لقلة عدد الرجال



الملحوظة، عشان أساعد في عملية حمله لحد عربية نقل الموتى.

انتهت بسلام العملية وتراجعت خطوتين وسط الصراخ والعويل من الستات قرايبه ومعارفه لحد ما اصطدمت في جرجس، اللي بادر بسؤالي معاك عربية ولا لأ، فقلت له:

ـ لأ أنا جاي بالمترو،

فدعاني للركوب معاه في عربيته، هي مش عربيته أوي، هي عربية الشغل راح خدها من الجراج زي ما حكالي، وزي ما حكى كتير أوي طول الوقت ما بين المستشفى والكنيسة اللي لازق فيها على طول المدافن.. طول المشوار يثرثر بكلام وقع مني أغلبه بعدما اكتشفت سريعًا أني مش هقدر أجاريه بتعليق عابر في وسط كلامه، لأنه مركّز يحكي.. يحكي وبس.. فاكتفيت وأنا بفكر في شكل اليوم هيبقى إزاي بشوية إيماءات مع القليل من أه.. طبعاً.. يااااه..

في كل مرة يخبطني في كتفي ويقولي واخد بالك انت؟ يمكن مرة واحدة بس اللي خدت بالي من كلامه لما لمحت شبه ابتسامة سخرية وهو بيسألني إيه رأيك في العاصمة الجديدة؟ أنا شغال فيها على فكرة..



بصيت له وقلت له:

ـ آه يوتوبيا؟ حلوة أوي ربنا يولي من يصلح..

سألني وهو فاتح بؤه ببلاهة لا تخطئها عين..

ـ إيه يوتيوب ده؟

قلت له:

ـ يعني مدينة فاضلة فيها خير وسعادة كده والحياة فيها زبادي خلاط.. دكتور أحمد خالد توفيق فاتح عيادة أسنان فيها عارفه؟

قال لي:

ـ لمحت الاسم ده هناك.

وصلنا أخيرًا الكنيسة اللي كان الكاهن بتاعها مع جموع المنتظرين موجودين لاستقبال لجثمان عشان يصلوا عليه صلاة الجنازة.. لفت نظرى قلة الحضور نسبة إلى وضع الراجل ده ومكانته كتاجر كبير. قلت يمكن العدد يزيد بقى في قاعة العزاء بالليل.. اليوم لسه في أوله وناس كتير يمكن مش عارفة أو عرفت ومجتش..

انتهت مراسم صلاة الجنازة وأخرت نفسي شوية عشان قررت بصراحة مشيلش معاهم الصندوق تاني، ثم بدأت رحلة السير



الهادئ الرتيب المنتظم ورا النعش لحد مستقره الأخير داخل القبر..
وما إن انتهى التربي من وضع الصندوق بالكامل كعادة المسيحيين في الدفن حتى صدر صوت عالي من أحد الواقفين لوقف الصراخ والبكاء والوقوف دقيقة للصلاة علي روح المرحوم.. صليت له الحقيقة مع الواقفين رغم موقفي الشخصي منه وإن كنت مش عارف إذا كانت صلاتي أنا شخصيًا هتبقى مقبولة، لأني بقالي فترة كبيرة حقا مبصليش.. يمكن عندي أعذار وحجج نفسية كثيرة دايما أسوقها لنفسي في الفترة الأخيرة من عمر البلد دي وأحداثها، رغم أني عارف أن أغلبها أعذار واهية.. لكن أهو ده اللي حصل..
اتجه الجميع بعد الصلاة نحو باب الخروج، إلا أنا.. بصيت بصة على المدافن ولقتني بامشي عكس الاتجاه مستهدفاً القبر اللي مدفونة فيه أمي.. فاكره.. ما أنا قعدت ٣ سنين أجي في كل ذكرى سنوية مع أخواتي وكمان في الأعياد.. كنت متعود في كل ذكرى أروح القداس الصبح أكتب اسمها في ورقة وأديها للشماس وأوصيه يديها لأبونا يذكرها على المذبح كعادة المسيحيين، لحد ما الحماس فتر وخلاص الجري ورا لقمة العيش والمسئوليات دار وطحن حاجات



كتير معاه، وعلى رأسهم الذكرى ذات نفسها.. مش عارف وقفت قدام قبرها أد إيه.. كتير ولا قليل.. شريط حياتي وحياتنا معاها دار بتفاصيله الكثيرة قدام عينيا وأنا واقف أصليلها وأدعيلها وأكلمها كمان وأتأسف لها.. معرفش أتأسفت لها ليه على عدم الزيارة؟ رغم أن قناعاتي أنها مش هنا، وأني واقف قدام مجرد قبر يحتوي على بقايا عظامها وعظام غيرها، وإن روحها صعدت لبارئها من زمان. هتعمل إيه صلاتي هنا ولا الورد اللي هحطه؟! ومع ذلك كلمتها عن حاجات كتير.. اشتكيت لها.. قلت لها قد إيه هي واحشاني.. طلبت منها تسامحني وتدعي لربنا يسامحني على تقصيري.. أصل أنا مسيحي ارثوذكسي أه، بس مش متدين أوي يعني ومش مهتم بالكامل الطقوس والعبادات في الكنيسة.. هو أينعم ساعات بحس إن فيه عمار بيني وبين ربنا بس أنا عارف إن مواظبتي على الكنيسة هتكون أحسن.. يمكن عشان كده مكنتش محبوب أوي في الكنيسة أو يمكن حسيت كده عشان مش معروف أوي.. كنت قليل لما باحضر القداس.. بس بحاول احضر الاجتماعات والوعظات.. أصل انا مش وحش أوي يعني وبحاول أكون على صلة بيني وبين



ربنا.. برضه الواحد من غير وجود ربنا في حياته بأوامره ونواهيه ووصاياه، ومن غير إحساس أن تصرفاته وسلوكياته مرصودة من إله، هيفقد روح التوبيخ والتبكيت والندم، وضميره هيموت عن قيم وأخلاقيات كثيرة محتاجة دايما تصحيح مسار مش هيستقيم أبدا لو الواحد قرر ينعزل عن ربه ويعيشها بدماغه كده.. الإنسان مهما كان ضعيف ومحتاج عصاية ربنا تكون وسيلة للتأديب، وهي هي العكاز اللي يتسند عليه.. مش ده كان كلامك يا أمي؟!

كانت بتشجعني رغم خوفها عليا لما تشوفني راجع من الميدان أيام الثورة وتقول لي خلوا بالكم من نفسكم وتدعيلنا ربنا ينصرنا.. كانت ساعات تشوفني وأنا متضايق ومكسور وأنا حاسس أن الثورة رايحة لسكة مش تمام، فتشجعني أن إيماني بالله ميضعفش.. كانت على قد ما هي على نياتها وعايزة الدنيا تمشي وخلاص، بس كانت عارفة أن أنا تحديدًا دونًا عن أخواتي الثورة دي جت لي على الطبطاب.. أصلها عارفاني من صغرى..

كنت ثورجي على الضيق كده.. في البيت.. في الشارع.. في الشغل. كنت بحاول أنصف المظلوم.. أقاوح شوية مع ما تمثله لي الرأسمالية



بوجهها القبيح اللي كان بيمارسه صاحب الشغل أو عصافيره في المكاتب والمخازن ضد صغار العمال.. وأنا باتدخل في خناقة بين طرف يبدو ضعيفا مع طرف قوى في الشارع أو المواصلات.. حاجات زي كده.. أنا يمكن مشاركتش في ٢٥ يناير من بدايتها ولا عمري نزلت وقفة أو مظاهرة غير زمان أيام استشهاد الطفل الفلسطيني محمد الدرة، أيام ما كان الروح لها تمن ومشهد مقتل طفل واحد كان كفيل بإثارة الشجن والغضب والثورة.. الصدفة وحدها اقتادتني يوم جمعة الغضب لرمسيس وحسيت بدم الحرية وحماس للحظة المهيبة ولآلاف الجموع عند مسجد الفتح بيجري في عروقي، من بعدها بقينا أنا والشارع والميدان والغاز المسيل للدموع أصحاب.

كنت زمان عاشق للجرايد والكُتاب الاشتراكيين.. اقرأ جرايد ومقالات لصحافيين يبدو أنهم معارضين.. صحيح كان لهم سقف في المعارضة، بس أهوه كنت باسلي نفسي وأخد جرعة أمل وحلم ومعرفة.. كنت باعتبر مذيعيين كتير لابسين بدل الرقص حرفياً دلوقتي أنهم معارضة والله..



كانوا ساعات بيجيبوا ضيوف مأجورين كده.. يقولوا الكلمتين وانتشي كده بجرأتهم واتكيف شوية وأخش أنام.. كنت مبهور بقلم وحيد حامد والتعاون اللي بينه وبين الهيرو الشخصي بتاعي روبين هود الغلابة، عادل إمام، اللي مثلت أفلامه في وجداني زمان كل أحلامي المتعطلة الخايفة المترددة.. الشاب أبو جاكت جينز وكوتش.. قصير القامة.. ضعيف الوسامة.. المنحوت على تجاعيد وشه شقى الحارة وأحلامها المستحيلة.. القوي دون سبب مفهوم ومنطقي للقوة.. اللي بيرضي غروري وأنا شايفة بيضرب اللي أنا مش قادر أضربه.. الجان بالعافية.. هو قرر يبقى جان وجذاب للنساء رغم أن كل مواصفاته الشكلية والجسمانية لا توحي بكده على الإطلاق، مقارنة بنجوم جيله حسين فهمي ولا محمود عبد العزيز.. ورغم ذلك تقع الفتيات في عشقه.. هو قدر يسعدني أنا شخصياً ويخليني أصدق ابن الحارة الجدع ملك الزوغان وزير النساء، اللي يعرف يضرب ميعورش ولو عور ميقتلش.. وحيد حامد خدني معاه في المنسى يفش غليلي في كرم مطاوع رجل الأعمال الفاسد ذو السطوة والنفوذ معدوم الشرف.. صحيح الرحلة



خلصت زي ما بدأت.. عاد المنسي لصفوف الغلابة مع فجر يوم جديد مكرر، وإن زادت عليه الجروح والكدمات، وعاد كرم مطاوع لصفقاته مع حسان بيه، واستقلت يسرا القطار لتبقى كما كانت للمنسي وليا – مجرد حلم.. بس أهو شوية مقاومة حلوين نفسوا عن الواحد شوية زي حلة الضغط كده.. لازم لها شوية تنفيس للبخار بدل ما تنفجر..

كنت أحب أشوف الإرهاب والكباب وأنا شايف عادل أمام موقف الداخلية على رجل ومركع تحت رجليه المتدين الصوري والموظف القميء الروتيني أبو وش خشب.. استمتع بنظرات الرغبة في الانتقام من ماسح الأحذية اللي اتظلم ومخدش حقه بالقانون، وأقول مع عادل إمام تبقي هي دي، العدالة.. اتبسط بالبندقية في إيد عسكرى المراسلة المتهانة كرامته من رئيسه، وأقول هو ده.. الكرامة. وفي النهاية برضه تنصرف الجموع بعد ما اتلخصت مطالبهم في أكلة كباب، ويرجعوا لنفس الدوامة بعد مغامرتهم القصيرة، اللي لازم تفضل قصيرة، وتفضل الداخلية



رافعة رأسها.. ما هي محدش يقدر يكسر هيبتها زي ما قال وزير الداخلية تحت المجمع..

كنت باتفرج على الغول وأحس بصراخ فريد شوقي طرب، والساطور نازل على دماغه ودماغ الرأسمالية المتوحشة اللي اشترت كل شيء بالمال.. اشترت العدل والحق والقلم والضمير، وداست على كل شيء في طريقها من أول القيم لحد دموع اليتامى وهي مسنودة بالسلطة والنفوذ والمال، وأدخن مع البطل سيجارته وهو قاعد وسط دمه بعد ما انتقم لي منه ولو بالوهم للحظات، رغم ضياع عمره ومستقبله لما كل الظروف والقوانين والنفوذ سدوا قدامه كل مطالبه بالعدالة و أنه يأخذ حق المظاليم بالقانون..

أستاذ على فكرة وحيد حامد في فن الطبخ على الحلة البرستو.. معلش دوشتك يا أمي الشوية دول بس هحاول أروح الكنيسة أكتر من كده، وهادخل دلوقتي أولع لك شمعة.. صحيح أنا مش عارف ليه هولع شمعة بس لأجل عيونك هولعها وأدعيلك بالرحمة..

●●●



فيكتوريا ليه !!

"العزاء هيبقى في قاعة الملاك ميخائيل الساعة ٧ مساءا".. دي كانت آخر كلمات جرجس ليا أثناء تشييع جثمان عم مقار.. أنا معرفش قعدت أد إيه قدام قبر أمي أو داخل الكنيسة ومخدتش بالي حتى من التليفون اللي رن كتير في جيبي لأني كنت عامله صامت.. ياه!! ساعة ونص عدوا كأنهم لحظة عابرة، اكتشفت وجود ٤ مسد كول من جرجس اللي أكيد مكانش عارف أنا فين وافتكرني دوبت في زحام المشيعين وروحت البيت، وأحسن طبعاً أنه يأس لأني معدش عندي طاقة لجرجس تاني الحقيقة.. طلعت من الكنيسة في شبرا الخيمة ووقفت لحظات في الشارع أفكر في حيرة.. أروح فين وأعمل إيه؟ وهل الوقت يسمح أخبط المشوار للبيت في عين شمس وأرجع تاني لقاعة العزاء بالليل؟ ولا أخلي أبويا بقى اللي ييجي العزاء وأخلع أنا.. ما هو برضه من بعد وفاة أمي وجوازي ولظروف تانية كتير مشي من شبرا وسكن جنب أخته في عزبة النخل.. أبقى أكلمه كمان شوية أعرفه بالخبر، ولو قدرت أروح وخلاص..



شاورت لأقرب ميكروباص معدي بينده ميدان فيكتوريا وركبت.. قعدت جنب الشباك وسرحت.. وفضلت أفكر في حاجات كتير خاصة بالبيت والولاد والشغل والـ..

ـ حمد الله على السلامة يا أستاذ!!

كان صوت سواق الميكروباص.. إيه ده؟! أنا آخر واحد في العربية ! ده ميدان فيكتوريا من ناحية أحمد حلمي!! أنا ركبت فيكتوريا ليه وأنا رايح عين شمس؟ ده إيه الزمن اللي رجع بيا ٨ سنين لورا ورماني في محطة رجوعي المعتادة لما كنت ساكن في شبرا؟

أنا في شبرا دلوقتي.. ابتسمت.. شكرت السواق ونزلت بلا هدف أو وجهة.. وجهة إيه دي شبرا يا عم، هي وجهتي وطريقي.. شبرا وطني الصغير جوه الوطن الكبير.. أنا رجلي خطت كل حارة وشارع وزقاق وقهوة ونفق فيكي.. أنا شفت فيكي الضحكة اللي من القلب والدمعة اللي من الأعماق.. شفت فيكي الدم واللعب والجد والحب.. لمة الصحاب في الفرحة والأحزان..

النفق اللي على شمالي ده عديته في ٢٠٠٩ عشان أشرف صاحبنا كان حاجز لنا كراسي قدام شاشة عاملاها قهوة في ماتش مصر والجزائر



في تصفيات كأس العالم.. تحسست زوري وافتكرت لما حسي راح وفضلت ٣ أيام أشاور بس بسبب التهابات في الأحبال الصوتية بعد جون عماد متعب في الوقت الضايع.. أنا حضنت كل اللي كانوا جنبي، ركلت الطقطوقة برجلي وقعتها بأزايز الحاجة الساقعة وكوبايات الشاي واتكسروا ١٠٠ حتة.. أنا فاكر شكل صاحب القهوة وهو بيحاسبني وأنا بعتذر له بصوت مبحوح وبسأله عن ثمن الحاجات اللي كسرتها.. الراجل كان فرحان بهيستريا أكتر مني وفشلت كل محاولاتي في دفع ثمن اللي انكسر وهو بيصرخ فداك يا عم وفدا مصر القهوة كلها!!

أنا فاكر صرخة فدا مصر دي كويس أوي.. فدا مصر؟ الناس البسيطة دي بتتنشق على أي حاجة تشدهم من تاني لجذورهم وتفكرهم بانتماءهم، ولو حتى ماتش كورة وتيشرت عليه العلم ونشيد وطني بيرج قلوبهم قبل ما يرج الإستاد.. كنت بسأل نفسي كتير، يا ترى ده صح ولا غلط؟ يا ترى الالتفاف حوالين أي حاجة بتمثل اسم البلد والفرحة اللي بشوفها في عين الناس مع كل هدف، والحزن اللي بيخيم على البيوت والشوارع لو المنتخب في ليلة انهزم،



هل ده دليل على وطنية مكتومة ومتدارية ورا طوفان من المشاكل والأزمات، الفقر والحاجة والظلم، قتل الطموح وخنق الأحلام؟!

هي فعلا الناس بتلاقي في ماتش الكورة فرصة يعلنوها مدوية: تعبتينا وحوجتينا ومش حاسة بينا، بنلعنك ونقول ياريت لو نطفش منك، بس وقت انتصارك ورفع علمك في أي مجال ولو حتى ملعب بننسى كل ده في ثواني، بقلب عاشق بيحب دون شرط أو قيد، ونحتفل ونفخر بانتماءنا ليكي..

ولا ده مخدر مرسوم له بعناية لتغييب الوعي واختزال الوطنية والانتماء في بساط أخضر وكورة جلد منفوخة هوا، وفي الخلفية شادية بتغني يا حبيبتي يا مصر.. اتنهدت كده وخدت نفس عميق وقلت لنفسي يا عم كبر مخك ما احنا بعدها بـ ٣ أيام اتطرقعنا في أم درمان والمهاويس والفُجّر من الفنانين والإعلاميين والسياسيين عملوا بالوا بالكدب وأوهموا شعب بالكامل إن حرب شوارع دايرة في السودان، والجزائريين دايرين يدبحوا فيهم، وكل ده كان لامتصاص خيبة أمل الناس المكسورة فرحتها وتحويل دفة غضبهم



في اتجاه الجزائر وشعبها في تمثيلية كانت رخيصة وحقيرة لأبعد حد..

المهم اديت ظهري للنفق ومشيت متجهاً بنفس التلقائية لمسقط رأسي بقى.. شارع الورشة.

برضه مش عارف أنا ليه مُصِر أفضل في شبرا؟ إيه الخطة؟ الساعة مجتش ١٢ الظهر.. يعني لسه ٧ ساعات على معاد القاعة..

بص.. خلاص أنا هعدي أكل لقمة من عربية عشري بتاعة الفول اللي في ميدان فيكتوريا.. ده لو لسه موجود يعني..

أخش بعد كده شارع الورشة، ما هو أخره مترو سانت تريز، أركب المترو وأروّح البيت أطل على العيال وأنام شوية وزي ما تيجي بقى.. لو صحيت فايق أرجع تاني ولو لقيت نفسي مكسل وعايز أريح، أنا كده كده قمت بالواجب، وممكن أبويا لما أقول له يروح هو القاعة بالليل.. انا هفطر..

وصلت الميدان فعلاً والحمد لله لقيت العربية واقفة في مكانها كأني سايبها امبارح.. يمكن اللي اتغير إن اللي واقف قدام قدرة الفول مش عم عشري، ده شاب يا دوب الشنب الخفيف ده خط في وشه..



ركزت كويس في ملامحه عرفت على طول أن ده اللي كان ابنه الصغير.. كان بيتدألج كده بالصينية يروح يودي طلبات للمحلات المجاورة.. ينزّل عيش وسلاطات للزباين وهكذا.. طلبت منه طلب قول بالزيت الحار مع بصلاية وكام قرن فلفل، وتجاهلت تماماً أسأله عن أبوه لأحسن يقولي أنه مات راخر، اليوم مش ناقص فصلان أصلاً.. فجأه لقيته بيزعق لطفل صغير معاه عشان كان هيوقع طبق الطعمية على الأرض، فقفزت للذاكرة على طول واقعتي الفريدة وأنا في نفس سن الطفل ده تقريباً، وراجع من عند أبو صلاح الطعمجي بقرطاس الطعمية اللي يبدو أنه مكانش رابطه كويس من تحت، إضافة لإهمالي الشخصي في التشبث بالقرطاس وانشغالي بتسديد ركلات لأي طوبة أو إزازة بلاستيك تقابلني أثناء رحلة العودة، فاختار القرطاس التوقيت غير المناسب لينفتح على مصراعيه في المكان الوحيد في الشارع اللي فيه طين. تهاوت الأقراص الساخنة في تتابع مرعب أشبه بسقوط ورقات الدومينو واحداً تلو الآخر في الطين.. توقف الزمن لحظات وأنا بفكر في مصيري بعدما ضيعت آمال أسرة بالكامل مستنية الفارس



المغوار اللي اقتنص الأقراص الطازجة من بين الزحام وعاد إلي البيت بدخان الطعمية المتصاعد من داخل القرطاس تطارده أنظار الجوعى بلهفة وإعجاب وامتنان..

اتخذت قراري وقاومت الخوف وانحنيت لإعادة الأقراص المشوهة داخل القرطاس المهترئ، وبعدها طلعت اتسحب متخذا أغرب قرار ممكن يتخذ في ظرف مهبب زي ده.. جريت على الحنفية وجبت طبق.. وغسلت الطعمية!! غسلتها أه..

طبعا الموضوع اتكشف مع أول قطمة من أبويا تلاه أختي اللي انفعالات وشهم لوحدها كانت كفيلة أنها تنبئني بأنه يوم مش معدي، وكانت مأساة..

تصور الطفل الصغير أن العلقة قادمة لا محالة، لكن ده محصلش..

كملوا أكل عادي بعد ما أبويا أشار لأختي بالصمت ورمى إيماءة لأمي بها معناه تشيل الطبق، وبعد أن انتهينا من الأكل أمي ندهتني وقالت لي كلمتين لسه بيرنوا في وداني:

ـ أنهي الأسهل يا شريف؟ كنت تيجي تقول الطعمية وقعت مني وأديك ربع جنيه تاني وتروح تجيب غيرها؟ ولا تكذب؟ اوعى في



يوم تعمل غلطة وتحاول تصلحها بغلطة تانية.. هتفضل رجلك تغرز في الغلط من غير رجوع، والحاجة الصغيرة اللي أد كده هتكبر وتبقى كبيرة ومش هتعرف تلمها.. فهمت حاجة؟

شاورت لها بكوكتيل إشارات غير مفهومة لأني مكنتش فاهم أوي، بس اللي عرفته وفهمته واتعلمته اني مكدبش تاني وخلاص، وده كان كفاية..

ضحكت لي بضحكتها اللي مشفتش ولا هشوف زيها وقالت لي روح صالح أبوك عشان زعلان منك..

"حاجة تانية يا بيه".. ده كان صوت ابن عم عشري قاطعا حبل ذكرياتي بعد ما تقريبا لاحظ أني مسحت الطبق من غير ما أدري ولسه واقف قدامه دون حراك.. قلت:

ـ لأ شكرا تسلم إيدك.. وحاسبته ومشيت.

دلوقتي أنا داخل على شارع الورشة.. التكاتك من كل حدب وصوب بحركاتها العشوائية الأفعوانية العجيبة اللي بيمتاز بيها سواقينها.. واللي متعرفش دي أصول المهنة يعني ولا هما بيحبوا يرازوا خلق الله ويستمتعوا بلحظات إهدار وقارهم بإجبارهم على



الإتيان برقصات مفاجئة لتفادي الاصطدام.. فكرت لحظة أشاور لحد منهم ياخدني لآخر الشارع، لكن سرعان ما تراجعت عن الفكرة.. يا عم لا ضرر من شوية مشي صغيرين وأهو نستعيد ذكرى الأيام الخوالي وأنا بعدي قصاد كل حارة متفرعة ولسه حافظ أساميهم حارة حارة عن ظهر قلب..

كل حارة ليها حكاية وموقف.. شارع الورشة أول ما تدخله من ناحية ميدان فيكتوريا سريعًا هتلمح على يمينك المطعم اللي كان الأشهر على الإطلاق "شَكَل".. المطعم ده كان ـ واعتقد لا يزال ـ مش بس بيجيله زباين من شبرا، كان بيزوره ناس من بره المنطقة من أماكن ثانية كتير.. شهرته واسعة جدا.. بالنسبة لي أنا فضلت سنين طفولتي ومراهقتي كلها المطعم ده يمثل لي الثقب الأسود أو مثلث برمودا.. عمري ما عتبته برجلي ولا أبويا خدنا نتغدى أو نتعشى فيه مرة واحدة رغم سيطه المدوي.. كنا فقرا جداً جداً يعني، للدرجة اللي تخلي التفكير في الأكل عنده أمر مستبعد تماماً..

أنا لما وعيت على الدنيا وبدأت أدرك على أد سني طبيعة الحياة حواليا كنت عارف إننا ناس على أد حالنا.. موضوع اللحمة ده



مثلا كان حدث كده ممكن يحصل مرة كل شهر أو في الأعياد، ورغم كده أبويا وأمي نجحوا في زرع هجين من الرضا والقناعة غير مصطنع أو ظاهري أو شكلي جوانا كلنا، سواء أنا أو أخواتي.. كان تعفف حقيقي لم يكن أبدًا يقدر يوصلنا غير أنه يكون إرث صادق منهم الاثنين.. الله يرحمها كانت فنانة بخلطتها وتوابلها وبهاراتها ونفسها هي شخصياً في جعل أي أكلة خضار أو نشويات أو بقوليات أورديحي لطبق من الجنة ولا أجدعها طاجن من طواجن شَكَل أو غيره.. ده غير المعلم أبويا في لحظات روقانه القليلة لما تطلب معاه يجهز بنفسه طبق السلاطة بطرقه المختلفة مما تستدعيه ذاكرته في السنتين اللي اشتغل فيهم سفرجي في كازينو هابي لاند في المظلات..

عديت من قدام شَكَل بنفس إحساس زمان.. أنا لسه مدخلتوش لحد دلوقتي ولا جربت أكله مرة واحدة في حياتي، رغم أني لما بدأت أكبر واشتغل وأمسك فلوس أحياناً كنت بادخل أكل في مطاعم أكبر وأغلى بكتير منه.. أنا عندي فوبيا "شَكَل".

●●●



عودة الزبون الضال !!

كملت في طريقي للمترو عن طريق شارع الورشة وأنا بحاول اختبر ذاكرتي قصاد كل حارة، افتكر اسمها إيه وكان هنا محل إيه وعرفت مين فيها.. علقت مين من البنات في الحارة دي.. ولعبنا كورة على فلوس في الحارة دي.. قعدنا قدام بيت مين نتدفى قصاد الخشب المولع في الحارة دي.. في الحارة دي كنت باخد درس التاريخ عند أبلة نعمة.. مكانش لسه مصطلح "ميس" ظهر على الساحة.. حتى اقتربت من مقر إدارة أعمالنا وإحنا صغيرين "قهوة محيي" بدأت أشوفها من بعيد وبدأ معاها شلال من الذكريات ينساب جوه عقلي.. هديت الخطوة وبدأت تتابني مشاعر حنين مختلطة بالحزن.. على بُعد ناصية واحدة بس من القهوة تقدر تشوف بيتنا القديم.. مدخله من الحارة لكن واجهته بتطل على الاثنين.. الحارة وشارع الورشة.. "سيدة" أهي بتاعة العيش واقفة نفس وقفتها بالأقفاص قصاد القهوة.. سيدة طول عمرها كبيرة.. من وأنا صغير بنزل أجيب منها العيش وهي كبيرة.. لكن عمر ما حد



قال لها يا حاجة أو يا أم فلان.. سيدة متجوزتش.. سيدة اتجوزت قفص العيش..

اتجوزت الأوضة اللي في أول دور اللي بتلمها هي وأمها وأخوها الصغير رجب الجزمجي.. كانوا بيفتحوا شباكها على طول، عشان تختلط حياتها الخاصة بالكام رف اللي حاطين عليها البقالة والحلويات.. شباك أوضتهم كان هو باب محلهم الصغير اللي بيُرزقوا منه، كانوا زي ما تقول بيمشوها ورديات.. سيدة الصبح تبيع العيش وأحيانا جنبه حزم الجرجير والبقدونس، وأمها قاعدة ورا الشباك تبيع البقالة.. يجي الليل والعيش يخلص، ترتاح أمها وتكمل سيدة مشوار البقالة.. وقفت قدامها وهي بتبيع لزبونة أتأمل في ملامحها اللي عجزت وإن احتفظت بروحها الخفيفة المرحة المتناقضة جدا مع علامات الإجهاد وخريطة التجاعيد والشقاء اللي نحتتها السنين على وشها الأسمر.. وبعد أن انتهت من بيع العيش للزبونة قلت لها:

ـ انتي يا ولية.. عندي عريس ليكي أجيبه تشوفيه؟



اختفت ابتسامتها وشدت أجزاء بندقية لسانها سريع الطلقات، وقبل ما تضغط الزناد.. اتسعت عيناها وأطلقت ضحكة سمعها الشارع كله وهي بتلف من ورا الأقفاص صارخة:

ـ شريف.. شريف يا ابن شوقي يا قلالات الأصل، كل دى غيبة؟

وخدتني حضن مطارات أنا بصراحة لم أتوقعه نهائياً.. بس دي سيدة، تعمل ما بدالها واللي دماغها توديها له ومفيش مخلوق فيكي يا شبرا يقدر يراجعها في تصرفاتها.. أنا حرفياً متربي علي إيد سيدة.

ـ إزيك ياض، وإزي أبوك شوقي المكوجي الندل اللي ما بيسألش

ـ سواق تاكسي يا ست انتي.. أبويا سواق تاكس بدل ما أقول له يجي يلبسك الأقفاص دي في وشك.

ـ مكوجي يا روح أمك، وهيفضل شوقي المكوجي ولو راكب المرشيدس.

اتكلمت معاها شوية.. فصلتني خفة دمها وبساطتها عن اللي حصل في بداية اليوم وسلمت عليها ولفيت.. لقيتها بتقولي مبتسمة:

ـ واد يا شريف.. أمال فين العريس؟



قلت لها بنفس الابتسامة:

ـ عند أمك يا سيدة.

سيبتها وضحكتها بترن في الشارع ولقتني في وش القهوة.. قهوة محيي.. بصيت في ساعتي وأنا باتلكك أقنع نفسي أن لسه بدري ومفيش ضرر أو مانع من كوباية شاي.. ماكنش أبدا المقصود جوايا أني فقط أشرب شاي.. شبرا وذكرياتها اللي صحيت كلها في نص ساعة من لحظة نزولي فيكتوريا بالغلط تستحق شوية من وقتي أقضيها مع كوباية شاي على قهوة محيي.. دخلتها منتشي كده.. اكتشفت أنها كانت واحشاني جدا.. متغيرتش كتير.. أول حاجة لفتت نظري صورة صاحبها محيي اللي اتوفى من سنين وحضرت أواخر أيامه.. الصورة في نفس مكانها يمكن بس غيروا البرواز.. الله يرحمه بقى كان تقريبا تاجر مخدرات.. مش عارف إذا كان من الكبار ولا من الصغيرين، بس هو الموضوع ميخوفش أوي.. أغلب أصحاب القهاوى كانوا بيشتغلوا في الحشيش أو مخبرين لقسم الساحل.. أو الاثنين معاً.. كان له موقف مع صموائيل



الفرارجي اللي مشي من زمان والمحل اتغير وبقي بتاع موبايلات واتصالات.. دخل مرة على عم صموائيل وقال له:

ـ سلامو عليكم يا صموائيل.. القسم فيه قوة منه اتحركت دلوقت وجاية على القهوة تاخد لها عيلين ثلاثة قاعدين.. خد ده خبيه عندك لحد ما يمشوا..

وراح مطلع له فرش حشيش.. الراجل كان بيحكي لأبويا وهو بيضحك بيقول له ركبي سابت وعنيا زاغت وبطني كركبت، بس المعلم محيي محدش يقول له لأ وإلا مع السلامة من المنطقة نفسها، ده لو طلعت سليم.. خدته منه خبيته لحد ما جم ومشيوا.. بس الشهادة لله عشان أقول اللي ليا واللي عليا.. رجع لي ياخده مني بس ساب لي صباع وقال لي روق على نفسك اللية دي.. كتر خيره الصراحة..

بصيت على الحيطة لقيتهم معلقين صور لمحمد صلاح وميسي ورونالدو. جابوا شاشتين LCD مشغلين عليهم صلاة الجمعة، وزودوا شوية المساحة اللي كانوا زمان محتلينها من الشارع.. اخترت المكان اللي هقعد فيه ويكون كاشف الشارع كله.. هناك



عند النصبة لازال واقف ومديني ظهره ولسه مشافنيش.. وائل ابن المعلم محيي.. هيلف دلوقتي وييجي ويتفاجئ بيا.. حضرت الكلمتين اللي هقولهم وهو بيرحب بيا وحاولت افتكر أسامي عياله.. لف وائل واتجه ناحيتي وانا باصص له مستني رد فعله لما يشوفني.. أبداً.. فقط اكتفى بجملة:

ـ أزيك يا شيفو تشرب إيه؟

بطريقة كلاسيكية عادية جداً، وكأني كنت قاعد عنده امبارح.. مندهشتش أوي، أنا بقيت متعود على أي حاجة.. ثم أن وائل ماكنش مقرب ليا فعلا في عز ما كنا شبه مقيمين على القهوة، سواء لما كنا بنرجع من معاهدنا وكلياتنا أو من أشغالنا لما اتخرجنا.. عموماً الدنيا تلاهي وكل واحد فيه اللي مكفيه، وهو طول اليوم بيتعامل مع زباين ياما.. ممكن ميكونش لاحظ غيابي أصلا.. رديت عليه بابتسامة هادئة:

ـ شاي سكر مظبوط يا وائل.

ولعت سيجارتي وبدأت أشرب الشاي واتأمل في وجوه اللي قاعدين.. أغلبهم شباب ومعرفهمش أو حتى شبهت على حد



فيهم.. اليوم لسه في أوله وصلاة الجمعة شغالة ولسه الناس مطلعتش من الصلاة..

أنا مفتقد "كريم" جدا.. كريم ده حرفيا صديقي الوحيد.. أنا معارفي واللي يحبوني وبحبهم كتير أوي وكنا شلة كبيرة مش قليلة، لكن الصداقة الحقيقية بكل معانيها "الأنتيم" زي ما بيقولوا، مواصفاتها دايما تنطبق على عدد قليل من معارفك.. الصاحب اللي معاك على طول في كل خطواتك، أحلامك، مشاكلك، أحزانك.. شريك في فرحك وشريك في بلاويك، بتعقلوا سوا وتجنحوا سوا، فاهمك وفاهمه، اهتماماته هي اهتماماتك، أحلامه قريبة من أحلامك، خناقاتكم صغيرة أو كبيرة لها حد فاصل يخلص بكلمتين عتاب أو شتيمة وأحيانا من غير ولا كلمة، ولا كأن حصل حاجة أصلا.. كريم مش صديق طفولة، ده صديق رضاعة.. اتولدنا احنا الاثنين في البيت ده، اللي عينيا شايفاه دلوقت، هو في أول دور وأنا في التالت فوق السطوح.. اتولد قبلي بشهر واحد في الغرفة بتاعتهم اللي كان بيجاورها ٣ غرف تاني لأسر مختلفة.. وأنا اتولدت بعده في غرفة من الغرفتين اللي واخدينهم ومعانا أسرتين تانيين.. كل



أسرة واخدة غرفة.. أيوة البيت الصغير ده اللي أدواره لم تتعدى الثلاثة أدوار كان بيأوي ١١ أسرة، وده حال أغلب بيوتنا القديمة في حواري شبرا، واللي عادي جدا تلاقي جنبهم أو في الوسط بينهم عمارة شاهقة ساكنها علية القوم لكن بنمط حياة وتعايش متناغم ومنسجم بشكل تلقائي فريد.. الشقة في بيتنا بتطلع على ٤ غرف وصالة وحمام مشترك واسمها شقة شرك.. كان الدور الأرضي مفتوح عيادة لابن اصحاب البيت الأرستقراطيين جدا اللي ورثوه عن أجدادهم وكانت لهم بيوتهم اللي عايشين فيها في شبرا برضة، حي التناقضات والامتزاج والتناغم العجيب بين كل الطبقات.. أيام ما كان فيه طبقات يعني قبل نسف الطبقة المتوسطة نسفا.. بل رأيت بعيني الطليان والجريج وأصحاب الأصول الشركسية واللي اعتقد أصحاب البيت كانوا ملمسين معاهم بشكل أو بآخر..

كنت بحس أنهم من أصول أوروبية.. كانوا بيعاملونا من طراطيف مناخيرهم أو كنت بحس كده.. مش عارف بس عمري ما حبيتهم.. كانوا بيقفلوا علينا باب السطوح نافذتنا على العالم وعلى الهوا أو على الشمس بمزاجهم ويفتحوا بمزاجهم.. كنت باتعمد



من صغري مديش حد فيهم أي اهتمام لما ييجي لأي سبب سواء تحصيل الإيجار أو غيره عشان انتصر لفقر أبويا وكرامته انتصار صغير يرفع معنوياتي قصاد ملامحهم الخشبية اللي تقترب من ملامح سكان شرق أوروبا.. كانوا بيملكوا البيت ده والجامع اللي قصاده.. العيادة كانت جنبها غرفة صغيرة، كانت كتير بتبقي مقفولة وبتتفتح مرتين ثلاثة في الأسبوع لمجموعة من الناس بجلاليب كانوا في منتهي الغموض بالنسبة لي وأنا طفل.. كانوا بيعملوا حاجة غريبة جدا مكنتش فاهمها.. كنت ساعات أنزل من فوق كده ألاقيهم مواربين الباب وبيهمهموا بشكل منظم متناغم بكلام زي ما يكون قرآن، وأحيانا كنت أرمي نظرة كده من ورا الباب المفتوح ألاقيهم بيغنوا بكلام أنا مش فاهمه ويهزوا رأسهم ويحركوا دراعاتهم لفوق بحركات متتابعة منتظمة.. مكنتش عارف بيعملوا إيه، لحد ما أبويا قالي لي مرة دول جماعة صوفيين بيتجمعوا يقولوا أناشيد وأهازيج صوفية ومدح للنبي.. أنا أصلا ساعتها مفهمتش ولا كلمة من اللي قالها لي، لكني فاكر مع أني كنت صغير أوي أني كنت باتخطف وبينتابني إحساس غير مفهوم بالراحة النفسية كأني



باسمع ترانيم من اللي بيحفظوها لنا في مدارس الأحد، لما بسمع صوتهم الخافت مع السقفة الصغيرة اللي بيبقوا حريصين أنه ميبقاش عالي.. أنا مرة وقفت لهم على باب الأوضة فلمحني واحد منهم راح مشاور لي بابتسامة حلوة كده أني أخش.. مترددتش لحظة ولا خوفت وانضميت ليهم عشان أكمل نص الدايرة اللي عاملينها على الأرض حوالين قسعة مليانة خشب محروق وبقايا أكواز الذرة كنا بنسميها "قوالح"، كانوا بيستخدموها للتدفئة وكان المكان مليان برائحة بخور.. مش عارف بالضبط قعدت أد ايه معاهم، محدش فيهم كلمني كلمة غير يا دوب سألوني عن اسمي.. لحد ما لقيت خبطتين على الباب اللي اتفتح عشان أبص ورايا ألاقي أبويا بيسحبني من قفايا وهو بيقولهم سلاموا عليكم.. انتوا مقعدين الواد معاكم واحنا قالبين الدنيا عليه؟ قالوا له مين ده يا شوقي؟ قالهم ابني وهوديكم في داهية وأقول عايزين يخطفوا الواد ويخلوه يأسلم.. ضحك الجميع ومكنتش فاهم ساعتها هما بيضحكوا على إيه..



طلعت الموبايل من جيبي وفتحت الواتس أب عشان أعمل فويس سريع لكريم وأقول له أني في شبرا دلوقت وقاعد على قهوة محيي.. أيوة ما هي دي دلوقت الطريقة اللي بتواصل بيها مع صديق عمري.. واتس اب أو ماسنجر أو لايكات على الفيس بوك بعد ما لطشت معاه ضربة الحظ وهاجر على أمريكا بأسرته من ٩ سنين بعد ما قدم في الهجرة العشوائية واتقبل.. رجعت التليفون لجيبي بعد ما افتكرت أن المكان غير المكان والتوقيت مش هو التوقيت وزمانه رايح دلوقت في سابع نومة لما يصحى هيكلمني.. أو لو وراه شغل هيعمل رياكت لاف.. الانترنت وايموشن الفيس والواتس بقوا وسيلة التواصل بيننا بعد ما كنا تقريبا مبنفارقش بعض إلا وقت النوم – حتى النوم كنا ساعات نتشارك فيه عندهم.. أصل أخواته كلهم كانوا ولاد فكانت ساعات والدته الله يرحمها تدي حس لأمي وتقولها شريف بايت عند كريم الليلة دي سهرانين على فيلم للصبح.. أصل كان عندهم فيديو كاسيت جابوه بالقسط، وكنت أنا وهو وأسامة أخوه نتقاسم في تأجير شريطين لاميتاب باتشان أو



بروس لي ونسهر عليهم طول الليل.. أنا وكريم كانا بيسمونا التوأم الملتصق..

فضلنا ملازمين بعض من أول الحضانة مروراً بالمدرسة الابتدائي اللي قضينا سنواتها الست في فصل واحد.. كنا أشطر اثنين في الفصل وكان الجميع بيسعى للتقرب مننا.. مكناش بنقعد جنب بعض عشان كان لكل واحد منا تابعه المفضل، حاجة زي عسكري المراسلة كده.. يعني يجيبولنا حاجات من الكانتين، يقعدولنا جنب الشنط واحنا بنلعب كورة، يسقفولنا على الفاضي والمليان. في المقابل بقى كانوا بياخدوا مننا الحماية من باقي التلامذة، نأكلهم من ساندويتشاتنا، نغششهم في الامتحانات. كنت أنا وكريم في صراع شديد على مين أشطر وكانت انتخابات رئيس الفصل بتبقى ملحمة.. بس غالباً كنت بفوز بيها عشان كانت عندي القدرة على ضمان أصوات البنات اللي مكنتش باكتب أساميهم لما الأبلة توقفني على الفصل اكتب أسامي اللي بيتكلموا ويعملوا دوشة ما بين الحصص.. كنت باعتمد على الحاجات دي في دعايتي الانتخابية..



كانت كل الحاجات دي بتدوب بمجرد دق جرس المرواح.. كأننا كنا لابسين ماسكات في حفلة تنكرية وخلصناها.. استمرت صداقتنا بعد ما الصدفة خلتنا في فصل واحد في أول سنتين في أعدادي.. وحتى لما افترقنا في ثالثة كنا بنروح ونيجي مع بعض.. صداقة لم يؤثر عليها على الإطلاق ظهور أصدقاء وشلل جدد عندي وعنده من الكنيسة أو المدرسة.. لحد ما حصل في حياتي النقلة النوعية اللي باعاني من آثارها لحد دلوقتي..

كان والدي معودني دايماً استغل أجازة الصيف وينزلني عند أي حد من معارفه اشتغل أي حاجة، مش لأي غرض مادي، بالعكس.. كان مصروفي زي ما هو محدش كان بيسألني عن اللي باقبضه اللي كان ملاليم أساساً، كان دايما يقولي أنا عايزك تعرف القرش بيجي إزاي والواحد بيتعب أد إيه على ما يجيبه، وفرحة يوم القبض قد إيه وأنت بتحصل على أجرك نظير عرقك، عشان لما تكبر وتبقى ليك حياتك تعرف قيمته ومتصرفوش في الهلس وتعرف كمان قيمة الشغل في حد ذاته.. مكانش حتى بيلومني أو يعنفني لما أزهق مثلا بعد أسبوعين ثلاثة وأقعد من الشغل عشان استجيب لرغباتي



الطفولية في اللهو ولعب الكرة مع أصحابي في مركز شباب الساحل أو الدورات الصيفية في الشوارع أو اللي بتنظمها كنايس شبرا..

المهم أن المرة دي جت وقعتي بعد تالتة إعدادي في انتظار النتيجة- اللي متوقعها تدخلني ثانوية عامة مرتاح- مع ابن عمتي الكبير في مطبعة.. كان مدرس ثانوي صناعي عملي، وكان ظابط أموره بين المدرسة والمطبعة أنه أغلب الأسبوع يمضي ويزوغ على شغله في المطبعة عشان يزود دخله.. كان من الناس اللي عنده طلاقة في الحديث وقدره على الإقناع وكنت دايما باصص له بمهابه كده وبسمع له كويس.. لحد ما جالي مرة وقال لي وأنت ناوى على إيه؟ قلت له ساعتها اللي كنا متفقين عليه أنا وكريم.. هنخش أدبي عشان عندنا ميول إعلامية أو صحفية وكنا بنكتب شعر.. كان ركيك طبعاً بس أهو كانت هواية وكنت ساعات اكتب جوابات غرامية لأصحابي يبعتوها للبنات نظير ساندوتش أو أي حاجة من البقال.. كنت بحب القراية جدا.. أي حاجة تيجي في سكتي اقرأها.. كتاب.. مقالة .. قصة.. ورقة في الشارع مرمية أقرأ اللي فيها..



كانت أحلامي متضاربة مشوشة لكنها أبداً لم تخرج عن الخط الأدبي عموماً.. لقيته طبطب عليا بحنان مصطنع وفضل يقنعني أن المستقبل الحقيقي بقى في الصنعة، التعليم الفني.. المهن بقت هي المستقبل.. دراستها أسهل وفرص العمل بعدها كتير.. ثانوية عامة إيه بس؟ هما اللي اتخرجوا من آداب ولا حقوق ولا إعلام عملوا إيه؟ ما هم متلقحين على القهاوى ولا شغلة ولا مشغلة ولا نابهم ولا ناب أهاليهم غير حرق الأعصاب وصرف الفلوس على الفاضي.. فضل يومياً يضغط على أعصابي بالأسطوانة دي.. ويلعب في مخي الصغير خلقه اللي كلمة من حد أكبر منه وبيثق فيه تقدر تغير تفكيره ١٨٠ درجة..

وبالفعل طلعت النتيجة وكانت درجاتي عالية وتقديري جيد جدا زي كريم، فعبرت لأهلي عن رغبتي في التعليم الفني، اللي على قدر ما كان مفاجأة على قد ما استجابوا دون تعليق.. يمكن عشان أبويا وأمي مدخلوش مدارس من الأساس، أو يمكن حسوا أني وفرت عليهم ضغوط الثانوية العامة العصيبة والمادية.. مش عارف.. المهم أن ده اللي حصل وبقيت طالب ثانوي فني، والتحق كريم بالثانوية



العامة اللي برضه شاء القدر إن تبقى سكتنا لمدارسنا واحدة ذهاباً وإيابًا.. أنا كنت في شبرا الميكانيكية وعلى الناصية مدرسته ناصر الثانوية بنين.. مفيش حاجة اتغيرت بيني وبين كريم غير بس يا دوب شوية صداقات جديدة اكتسبها كل واحد فينا من مدرسته.. لم تكن مؤثرة على الإطلاق في علاقتنا واهتماماتنا..

ابتسمت وسرحت شوية للوراء فيما يخص حكايتنا مع البنات – حكايات منها السعيدة ومنها المنحوسة سيئة الحظ ومنها ما هو كوميدي حتى الموت ضحكاً.. افتكر مرة كان سكن في شارعنا على بعد حوالي ٣٠٠ متر سكان جدد.. كنا دايما ألمح بنت واقفة في البلكونة.. المسافة بعيدة مكنتش قادر أميز ملامحها.. لكن قلبي الصغير اللي مكانش لسه تجاوز الرابعة عشر من عمره حس بجمالها وكان بيرقص مع شعرها اللي كان بيتنطط مع قفزاتها المرحة وهي بتلعب مع الجيران.. شعرها من الواضح أنه مكانش أسود.. كانت أشعة الشمس لما بتنزل عليه بتعكس لون يقترب قليلا من الذهبي.. حاولت كثيرا ألفت نظرها بأي حركات أو إشارات بأيدي، لحد في مرة ركزت معايا وبدأت تشاور لي هي كمان.. أسبوع كامل من



الإشارات والمعاكسة بالمرايات وهي بتعكس ضوء الشمس على عينيا.. أسبوع مبهج واستلطاف تم التأكد منه، لحد ما ندهت كريم يشجعني أقرب بقى وابدأ اتحرك ناحية بلكونتها، أخد معاد أو أطلب منها تنزل نتقابل.. طبعا كريم وكعادتنا دايما رحب فوراً بالفكرة من غير تردد واتجهنا ناحية البيت.. في اللحظة اللي وصلنا فيها لقيت راجل معاه كيس عيش وبينده على حد اسمه "حسن".. ثواني ولقينا باب البلكونة بيتفتح وتطل منها فتاتي ذات الشعر الذهبي.. لكزت كريم في كتفه وقلت له أهيه.. لقيناها بتقول للراجل:

ـ أيوه يا بابا!!

فقال الراجل:

ـ نزّل السَبَت يا حسن خد العيش!!

بصينا لبعض أنا وكريم للحظة، وفي الثانية رفعنا عينينا مع بعض على جملة: حاضر يا بابا.

كان ولد اسمه حسن.. فضلت أسبوع أهيم عشقاً بولد شعره طويل شوية..



طبعًا أنا جيبت كريم من على الارض لأن ركبتيه لم تثبتا في مكانهما من كتر الضحك اللي محدش من المارة عارف له سبب، وفضل طول الطريق في رحلة العودة الحزينة يعايرني.. لحد ما نفضت غبار الصدمة وفكرته بالبنت اللي كانت واقفة مع أصحابها قدام الكنيسة في العيد وكانت مركزه معاه دوناً عننا كلنا، ولما شجعناه يروح لها سمعنا صوت القلم اللي نزل على وشه، لأنها كانت متأخرة عقليا أصلاً..

كنت غالبا فاشل جداً في علاقاتي النسائية في فترة الطفولة والمراهقة.. مفيش علاقة بتكمل الشهر سواء أزهق وأسيب أو أتساب.. يمكن كريم كان الأعقل والأكثر رزانة والأقل رعونة مني.. حب بنت شهور طويلة وكان مخلص لها جدا.. كنا غالبا لما بنخرج وهي معاه يكون معايا واحدة مختلفة.. لكن في الآخر سابته برضه بعد انكشاف علاقتهم من أبوها وكانت حكاية، ووصلت للأهل وانتهت بتعهد من والد كريم اللي فضل متأثر كتير بالفراق رغم طاعة البنت العمياء لأبوها واللي لم تبدي أي مقاومة..



كريم مرة جالي واحنا في العشرينات كده وقال لي لازم تطلع معايا الأحد الجاي فايد نصيف، فلما سألته ليه لازم؟ قال لي انه ماشي مع واحدة من روض الفرج وقرروا يطلعوا فايد.. بس هي مشترطة تكون معاهم بنت خالتها.. جاية زيارة من منوف ومستعدة تكون هي الكابلز معايا يعني..

وافقت فوراً كالعادة بعد السؤال التقليدي مني: هي حلوة؟ قال لي الاثنين زي القمر.. صحيت الفجر عشان أروح موقف سيارات الأقاليم زي ما اتفقنا.. وصلت لقيت كريم واقف وجنبه اتنين.. واحده منهم شايلة عيل !! مش عيل.. رضيع.. حرفياً قطعة لحم حمراء عمره لا يتجاوز شهر مثلا.. سلمت عليهم وخدته على جنب وقلت له مين دول؟

قال لي:

ـ دي سحر اللي قلت لك عليها، ودي فلانة بنت خالتها.. والله ما فاكر اسمها حتى

قلت له:

ـ تمام.. أنا هركب المترو وأروح أنام



ـ انت اتجننت يا شريف؟ طب والفسحة؟ أنت هتبوظ اليوم

ـ أولًا أنت قلت لي الاتنين زي القمر والاتنين شبهك أساسا.. ثانيا الدنيا حر والمهبوشة دي جايبة رضيع معانا.. دي تطلع بيه على حضّانة الواد وشه أصفر يا عم

المهم بعد محاولات مضنية من كريم للعدول عن قراري وافقت على مضض وكان يوم عجيب.. حتى بعد ما قررت أني اتقمص مرغماً دور الندل اللي خارج مع واحدة متجوزة ومخلفة.. زير النساء.. مكنتش عاجب المدام اللي كانت بتتأفف لو لمستها حتى من غير قصد وصرحت لبنت خالتها ببجاحة منقطعة النظير انها معجبة بكريم أصلاً.. قضيت اليوم كله سايبهم يلعبوا في المية وبفكر في طريقة عقاب لكريم لما نرجع وأنا شايل الواد بارضعه من الببرونة وأهشكه والمدام بتبلبط في البحر.. حتى لما صعبت على كريم وجالي بعد ما أقنعها أني أنزل معاها البحر.. قلت له: ارجع لهم يا كريم.. أنا حبيت الواد ده وأتعلقت بيه..

ضحك كريم وأنا قلت له: أضحك وعيش يا شقيق.. ليك روقة لما نرجع شبرا..



كريم كان زيي غاوي شعر ومزيكا وقراءة.. لكن قراءاته كانت مختلفة عني.. أنا كنت أحب اقرأ لفلاسفة أو كتب ومقالات سياسية وروايات.. كنت بصطاد الأدباء اللي رواياتهم لها أبعاد وإسقاطات سياسية.. وهو كان حالم شوية.. يقرأ رومانسي واجتماعي.. صوته كان حلو وكان من أحد أحلامه أنه يطلع مطرب.. هو ملحقش معايا ثورة يناير.. يعني مكانش هيبقى صديقي الأنتيم رفيق الميدان.. حتى لما نتكلم من أمريكا عن طريق الماسنجر أو السكاي بي.. اراؤه إصلاحية – برجماتي بعض الشيء مش ثوري خالص، وإن كان موصلش لمستوى بعض أقباط المهجر هناك عنده اللي مبيحبش تملقهم ونفاق بعضهم، ودايما بيقول لي يبقوا طالعين لجوء يا أخويا والحقونا إحنا مضطهدين وابص ألاقيهم طالعين بأتوبيسات يرقصوا ويغنوا ويهتفوا لمصر لما الرئيس يزور أمريكا.. كريم كل اللي يهمه في مصر دلوقتي أنا وأهله.. هو مش عايز يعرف غير أن أبوه وأخواته بخير وخلاص..هو الحقيقة مش مقصر معاهم نهائي.. من يومه على فكرة من ساعة ما بدأنا نشتغل في شركة الملابس مع بعض بعد ما اتخرجنا وبرغم أن ترتيبه



في وسط أخواته مش الكبير لكنه فعلا كان اللي في جيبه مش له وبيصرف على البيت كله.. كان رومانسي جدا وأشعاره كلها عن الحب.. كان أكتر مني حماسة واجتهاد في عرض موهبته وحاولنا كتير مع ملحنين ومطربين. كانت زياراتنا للمولات وعلاقاتنا اللي عملناها من شغلنا في مجال الملابس لها الأثر في أننا نتكعبل في موسيقيين وملحنين،كلهم بدون استثناء أدونا الصابونة.. منهم اللي كان جاف ومعندوش استعداد يبل الريق بكلمة.. ومنهم اللي عمل نفسه مهتم ومعجب وخد تليفونات وأعطي مواعيد وفي الآخر ولا حاجة.. افتكر مرة كنت معاه في جنينة مول في مدينة نصر، لقيت ملحن كبير أوي واقف على باب محل بيتكلم مع صاحب المحل.. فزعت كريم وصرخت له عشان نروح له.. وبالفعل روحنا له وكان معاهم واحدة.. اعتقد مطربة شابة وقتها.. سلمنا عليه وكلمناه وكريم أخرج من حقيبته أوراقه اللي مبتفارقوش.. الشهادة لله الراجل كان ودود ومهذب جداً.. قرأ في عجالة كام أغنية وعبر عن إعجابه بكام واحده فيهم.. وحط إيده



في جيبه وأخرج كارت عليه تليفونه وعنوان مكتبه في المهندسين وكمان أدانا معاد..

أنا عمري ما هانسي اليوم ده.. الشلة كلها جت معانا.. ركبنا تاكس ساعتها عشان بدلة كريم متتبهدلش.. وبالصدفة أول ما نزلنا قدام العمارة اللي في العنوان كان الملحن الكبير بيركن عربيته وطالع.. زقيت كريم بسرعة يلحقه ويفكره بنفسه.. وشفناه من بعيد وهو بيرحب بيه ويطبطب عليه وأخذه معاه على جوه العمارة وهو حاطط إيده على كتفه.. فضلنا واقفين الناحية الثانية نولع في سجائر ونتناقش فيما بيننا على أسلوب إدارة أعماله بقى لما يبقي شاعر غنائي، مع ثقتي المبالغ فيها في نفسي وأنا بقول لهم سيبولي أنا الموضوع ده.. اقترحت كمان أن سنتين كده ويستغل شهرته ويغني هو كمان.. هو مصطفى كامل ولا محمد رحيم أو وليد سعد أحسن من كريم في إيه.. ما كلهم ملحنين وشعراء وغنوا هما كمان.. المهم الموضوع طول أوي وبدأنا نتململ وأخوه بدأ يقلق.. قلت له: أنت عبيط يا ابني؟ التأخير ده مصلحة.. طالما أتأخروا كده يبقي قاعدين



بيخططوا لمستقبله وطريقة التعامل.. ده مش بعيد يكون الملحن عجبته أغنية وقاعدين يلحنوها سوا..

استمرينا على الوضع ده قرابة الساعتين لحد ما ظهر كريم خارج من العمارة.. انهمرت مننا الاسئلة والتبريكات اللي قطعها كلها كريم:

ـ شفتوا اللحظة اللي خدني فيها تحت باطه وطلعنا دي؟ أهي دي كانت آخر مرة شفته فيها.. سلمني لمدير مكتبه اللي قعد ساعتين إلا ربع يتكلم في التليفون وعشر دقائق يقرأ ورقتين وفي الآخر قال لي: حلوين سيب تليفونك وهنتصل بيك..

وراح باصص لي وقال لي:

ـ شريف.. أنا جعان تعالوا نشوف حاجة ناكلها..





الرفيق + ٩٠

- "الشاي برد يا عم شريف"

ده كان صوت وائل وهو بيرفع من قدامي كوباية الشاي اللي مشربتش غير نصفها وسيبت الباقي وأنا سارح بتأمل في وجوه الناس اللي خارجة من الصلاة.. وائل رفع الشاي وهو بيحط القهوة وبيقولي لي:

- مانو برضه، مش بتشربها مانو؟

اكتفيت بهز رأسي وأنا متابعه بيلف دون أن يتلقى رد.. ٨ سنين غيبة لم تنسيه انه تلقائيا بينزل لي بالقهوة المانو بعد الشاي، رغم أن نفس السنين لم تشفع لي عنده في إنه يرحب بيا في البداية الترحيب اللائق بها..

ارتشفت رشفة صغيرة كده عشان أتأكد من سكرها لقيتها زي ما هي بطعم أواخر التسعينات وأوائل الألفية الجديدة لما كانت قهوة محيي مقرنا الدائم.. التسعينات وذكريات التسعينات في عز توهج شبابنا وانطلاقنا وحيوية وطاقة فترات اللامسئولية.. زيرو خوف



من بكرة.. زيرو طموحات مادية.. زياراتنا المعتادة لمكتبة عم ممدوح في الحافظية.. الراجل ده عرف من أين تؤكل الكتف مع روايات مصرية للجيب.. كان من أوائل من اخترعوا سيستم التبديل فيها لمواجهة أي ركود في سوق المكتبات. أسس داخل محله الصغير ركن للروايات دي.. رجل المستحيل على ملف المستقبل على المكتب رقم ١٩ ومعاهم زهور والشياطين الـ ١٣ وغيرهم.. كان صديق الشباب والطلبة بابتسامته العذبة جداً وملامحه اللي كلها طيبة وطولة باله النموذجية على الروشة والهرجلة.. كنا ندخل له أنا وكريم اللي كنا بنتسابق ونعاير بعضنا بمين قرأ العدد كذا لحد العدد كذا.. كان بيبقى معانا الرواية ولا أثنين اللي خلصناهم وفقط بريزة "عشرة قروش" كانت سعر تبديل اللي معانا بواحدة تانية مقرأنهاش.. كانت بتبقى خناقة بيني وبين كريم لما أيدينا تتمد على عدد من رجل المستحيل مثلا، واللي يسبق يوعد الثاني بإعارته الرواية لما يخلصها.. أدهم صبري اللي صاغ شخصيته د/ نبيل فاروق بكل صفات القوة والشهامة والذكاء كان الهيرو بتاعنا في الفترة دي.. كنا بننام نحلم بمغامراته..



كنا مستنين العدد اللي هيحس فيه برفيقته في عملياته منى ويلاحظ حبها وتلميحاتها اللي لا تنتهي ويتجوزها بقى.. كنت عاشق لشخصية قدري البدين خفيف الظل خبير التزوير في المخابرات.. شعرنا بالنكد وأنا شخصيا اكتئبت في العدد اللي زميلهم مات فيه برصاصة عميل صهيوني.. افتكرت نور بمغامراته الخيالية اللي ما وراء الطبيعة في ملف المستقبل.. وافتكرت كمان إزاي توقفنا عن القراءة واحدة واحدة بالتدريج بعد ما روحنا مرة نبدل لقينا المحل مقفول ومتعلق على بابه ورقة تعلن عن وفاة عم ممدوح صاحب المكتبة.. وفاته أعلنت بالنسبة لنا انتهاء حقبة أدهم صبري رجل المستحيل.. نور في ملف المستقبل وروايات زهور الروحانية رغم وجودها في باقي المكتبات.. شخصيا نفسي مطاوعتنيش أروح اشتري أو أبدل من حد غير عم ممدوح.. عم ممدوح كان هو رجل المستحيل..

التسعينات كمان كانت الفترة اللي انسلخت فيها أنا وكريم من ثوب أهالينا أو الشباب اللي أكبر مننا في سماع أغاني الثمانينات ومحاولات مطربي جيل السبعينيات في أواخر مشوارهم مجاراة العصر.



مكانش بيستهوينا موسيقى حلمي بكر وفاروق الشرنوبي وغيرهم، بعد ما ظهر لنا عفريت العلبة، البرغوت الليبي الشقي أبو دم خفيف "حميد الشاعري"، اللي جالنا من منفذ السلوم يعمل زلزال ويضرب ألعاب نارية وبمب وصواريخ في ثوابت اللحن والتوزيع ويحفر في الأرض ويطلع لنا جيل كامل يرقص ويغني ويتنطط بحيوية، يحلم يسقف يبتهج ويتمرد على الواقع والموروث ويخرج من عباءة الأولين.. حتى حزنه وكلاسيكياته حبيناها وهو بيغني "راحل معايا الليل".. مزيكا حميد كانت ليا أنا وكريم المنبه اللي رن وصحانا من تحت البطانية يقول لنا: غنوا!!! انتوا مبتغنوش ليه؟

"حنان" كانت أول كراش في حياتي.. أنا بسمع كلمة كراش دي كتير بس واضح أنها الحبيب أو الحبيبة اللي بتتحب في صمت ومن بعيد.. كريم احترم حقي ورغبتي في العلاقة الخاصة اللي جمعتني بحنان رغم حبه ليها ومحبش يشاركني فيها، فاتجه بكل جوارحه ل"سيمون".. طاوعنا عمرو دياب زي المسحورين في التهام الأيس كريم في ديسمبر، صدقناهم ومحسيناش بالبرد عشان فعلاً



كان في قلبنا شم نسيم.. الفيلم ده دخلناه سينما ٣ مرات رغم قناعاتنا اللي تغاضينا عنها تمامًا في إن عمرو دياب علاقته بالتمثيل نفس علاقتنا بلغة قبائل الأشانتي في كوتوكو.. الفيلم ده خيري بشارة كأنه استشرق الألفينات بموبايلاتها وانترنتها وفضائياتها ونسق حياتها وتغول تكنولوجيتها، فصنع أيس كريم في جليم كشهادة توثيق وتأريخ مختصر عن فترة التسعينات، يفكر بيه اللي عاشها ويعرّفها للي معاشهاش.. القاهرة عاصمة الأمل لكل شاب طموح من خارجها.. القلوب البسيطة اللي أحلامها بسيطة زيها، انها تكون فقط نفسها مش صورة لحد غيرها.. حلم العاصمة لما يموت لأنه مشروط بشروط غيره وميصحاش ويكبر غير لما يتحقق بشروطك أنت.. عم زرياب الشيوعي الأشعث اللي عاش ومات في حضن العود من سكات دون ضجيج وهو باصص للعالم من حواليه بسخرية وعزة نفس متناقضة مع مظهره الرث وجسده المتهالك من التعب.. يبصق بصقته الأخيرة على العالم المجنون المزعج ويرحل في هدوء.. سيمون، خليط من التمرد والهدوء.. العقل والجنون.. البراءة والجنوح.. كرهناها لما خانت عمرو..



تعاطفنا معاها لما ندمت وانسحبت لعالمها الجديد مفسحة المجال لجيهان فاضل اللي آمنت بعمرو في لحظات ضعفه وفشله وكانت لازم تكون حاضرة في خطواته الأولي في تحقيق حلمه.. عمرو دياب ده قصة لوحده.. كان بالنسبة لنا كوكب كده لوحده وسط المجموعة الشمسية اللي بتشمل حميد ومصطفى قمر.. إيهاب توفيق وهشام عباس.. حنان ومنى عبد الغني.. سيمون وأنوشكا.. فارس وإبراهيم عبد القادر.. فرقة جيلينا.. كوكتيلات هاي كواليتي.. علاء عبد الخالق.. حكيم.. رجاء بلمليح وشهاب حسني.. محمد فؤاد ومحمد محي.. أحمد جوهر وهدى عمار.. كتير كتير.. بنسمع كله ونختار اللي على مزاجنا بس.. لكن عند عمرو دياب الإجابة إجبارية شراء الشريط إجباري.. كنا لما نسمع أن شريطه قرّب، قبل اختراع الأغاني السنجل والفلاشات والقرصنة واحتكار الفضائيات للفيديو كليب حصري، كنا نحوم حوالين البوتيكات عشان نتحرى عن المعلومة.. بكرة الشريط؟ طب بعده؟ طب امتى؟ أنا وكريم مكناش بنسأل عشان نشتري.. كنا بنسأل عشان عارفين أننا هنفوت يومين بعد ما يظهر في المحلات



والبوسترات تتعلق، ونشوف اللوك الجديد اللي أتوماتيك هيبقى اللوك بتاعنا وبتاع أغلب أصحابنا، سواء تسريحة الشعر أو الطقم اللي لابسه في الصور.. بنفوت يومين عشان مكانتش إمكانياتنا تسمح لنا نشتري الماستر، ومن رابع المستحيلات أني أطلب ١٥ أو ٢٠ جنيه من ابويا عشان اشتري شريط لعمرو دياب، اللي سيرته لوحدها كانت بتركبه ١٠٠ عفريت.. معرفش كان كارهه عن اقتناع ولا عشان شهرته ونجوميته المرعبة بتهدد عرش نجومه المفضلين جوه قلبه.. بتزاحم الملوك اللي حكموا فؤاده ومشاعره في صباه وحفظوه كلمتين يقولهم للبنات أو لأمي في فترة الخطوبة.. كان بيهاجمه بضراوة من غير ما يفكر حتى يسمعه.. كان بيقول لي يروح فين ده اللي بيتنطط ويرقص في عبد الحليم وفوزي والأطرش وقنديل وكارم.. محاولاتي في الدفاع عن عمرو دياب ومزيكته وكلماته كانت دايمًا بتبوء بالفشل.. أنا دلوقتي بس لما كبرت عرفت أن أبويا مكانش بيكره عمرو دياب قد ما بيحب عبد الحليم وبيحب نفسه وماضيه وذكرياته وبيدافع عنهم بكل تحزب وتشنج، زي ما أنا مبكرهش تامر حسني قد ما بحب مدحت صالح ولا



باكره كارمن قد ما بحب أصالة ولا بأكره رامي جمال قد ما بحب فارس..

المهم كنا بنروح لبائعنا المفضل، القرصان اللي على قديمه اللي كان بيقف على ناحية خلوصي مع شارع الترعة بترابيزته المميزة اللي عليها كنوزنا.. مجموعة مبهجة من الشرائط المضروبة مرصوصة بنظام وأبجدية خاصة بيه.. صوابعه بتتجه بحرفية عازف قانون على الشريط المطلوب اللي سعره مكانش بيزيد عن ٢ جنيه ونص أو ٣ جنيه حد أقصى، مكانش بينسى يكون جايب معاه الكاسيت عشان يجرب للزبون الشريط ويسمّعه جودة الصوت، اللي كتير كان بيبقى تالف نتيجة خطأ ما حصل وهو بيسجل النسخة الماستر.. كانت جودة الصوت وشكل طباعة غلاف الشريط بتفرق في السعر، قبل أن نحصل على نسختنا ونجري بيها ظافرين منتشين على بيوتنا.. الشريط غالبًا مكانش بيزيد عن ٨ أغاني، وفي ظرف يومين ثلاثة بنكون حفظناها كلها.. نرددها سوا في قعدات السمر أو أثناء التمشية في شارع شبرا في محاولاتنا لتعليق البنات.. يسمونها "شقط" اليومين دول..



كريم كان معاه " ووكمان" – كاسيت صغير محمول- كنا ساعات نمشي بسببه متلاصقين عشان كل واحد كان بيحط فردة من السماعة في إحدى أذنيه.. ندندن بصوت عالي مش واخدين بالنا منه واحنا في ايدينا الأيس كريم وواقفين قدام مدبولي قاسم أو معانا خرطتين بسبوسة من عند البشبيشي في أول شبرا..

السينما كمان كان ليها مكان في اهتماماتنا المشتركة، وإن تطورت علاقتنا بيها من الطفولة اللي كانت سكتها معروفة.. شبرا بالاس اللي اتهدت دلوقتي وطلعت عمارة كبيرة.. كانت الأفلام الهندي هي بطل المرحلة بدون منازع بمبالغاتها وأبطالها الأسطوريين، على رأسهم أميتاب بتشان فارس أحلام أغلب بنات الجيل ده، لحد ما كبرنا شوية وزهوتها راحت فبدأنا ننزل وسط البلد نشوف أحدث الأفلام العربي.. كان الإنتاج شحيح وقتها ونجومنا المفضلين يتعدوا على الصوابع.. افتكر مرة سنة ٩١ روحت أنا وكريم نتفرج على فيلم الكيت كات.. السينما كان أغلبها شباب وأنا منهم.. مكنتش بتفاعل معاهم أبدًا وهما بيضحكوا على قفشات الشيخ حسني ومواقفه اللي تبدو كوميدية.. معرفش ليه مع أني كنت صغير



ومقصدتش أعمل فيها ناقد فني عميق الرؤية يعني. السينما كانت بتترج من الضحك في مشهد قيادته للدراجة البخارية وحالة الهرج والمرج اللي اتسبب فيها، بينما أنا كنت مركز مع موسيقي راجح داود الحزينة في الخلفية اللي بدت متناقضة مع عاصفة الضحك اللي حوليا، وكأن داود عبد السيد غششني رسالته في أول الفيلم لما خلى الشيخ حسنى يقول للحشاش زميله في قعدة المزاج: راح النور يا حمار مش عميت.. الشيخ حسني مكانش أعمى.. كان شايف أحسن مني في النور وفي الضلمة كمان زي ما كان بيقول.. الشيخ حسني كان واقعي في التعامل مع مشاكله ومشاكل الحارة ومشاكل المجتمع وسط السواد اللي هو فاتح عينه وشايفه واللي الناس عايشاه وفاكراه أنه نور، وبيقولوا له أنت أعمى فيخبرهم بكل ثقة إن الحكاية مش أني أعمى.. أنا مش أعمى.. النور هو اللي راح..

فكرني بعبيد.. بصيت جنبي على باب القهوة مطرح ما كان عبيد بيقعد يشرب قهوته قريب من الباب.. عبيد كان كفيف، وكان دايمًا لوحده.. مكنتش أعرف أو بسأل حكايته إيه ومن أين جاء الراجل الغامض ده بجلابيته البني اللي مبيغيرهاش أبدا.. راجل دمه



خفيف.. كانت حنجرته لحظات ما بيكون مفرفش ويقرر يغني حتة لأم كلثوم قوية بشكل غير عادي.. ومقاماته موزونة ومخارج ألفاظه عبقرية لما يقرر بعدها بدقايق ينشد ابتهالات أو تواشيح. مكانش ودود مع الناس أوي طول الوقت، ومكنتش بحس أنه بيغني أو بينشد طمعًا في نيل إعجاب الحاضرين.. كان يمكن بيمارس رغبته الشخصية في تعويض حرمانه من حاسة النظر بحاسة النطق.. أتعودنا كلنا على تبدل الحالة المزاجية الرايقة دي تاني يوم لما كان بيمشي بعكازه في قلب الشارع يشتم ويصرخ وأحيانًا يسب الذات الألهية ويلومه كونه حكم عليه بالعمي.. كان بيلطم الخدود في مشهد معتاد لحد ما تتحول لكتلة من اللهب، ومكانش حد يقدر يقرب له لأنه كان بيتعامل بعنف وعدائية شديدة مع أي حد يحاول تهدئته.. هو كان بيهدى لوحده بعد ما يفرغ طاقته في الصراخ واللطم.. عبيد كان حالة عابرة، ظهرت بهدوء واختفي وغاب بنفس الهدوء..

لما أبص في تليفوني كده أشوف كريم سمع الفويس ولا لسه؟..

لسه.

●●●



صاحب الكورة !!

ـ "معلش يا عمو ممكن أشرب"

كان طفل صغير محتضن تحت دراعه كورته الصغيرة وأصحابه مستنين بره.. ندهتهم وسألتهم رايحين تلعبوا فين؟ في الوسعاية اللي ورا مدرسة عثمان؟ فعرّفوني أنهم رايحين يلعبوا في أحد ملاعب الخماسي الترتان اللي بقت منتشرة اليومين دول.. قلت لهم احنا كنا بننط من فوق سور مركز شباب الساحل عشان نزوغ من ربع جنيه حق التذكرة..

احنا كنا بنتنفس كوره.. الشلة كلها كانت كروية بامتياز. كريم وواحد تاني كانوا زملكاوية، والباقي أهلاوية.. عنينا فتحت من الطفولة على أبويا قدام التليفزيون الأبيض وأسود أبو بكرة ده.. هو مكانش فقط بيتابع المباراة بتاعة الأهلي.. ده كان بيلعب معاهم.. دماغه بتتحرك مع كل ضربة راس متوقعة جوه المنطقة ورجله بتسدد الكره نيابة عن أي لاعب متقاعس.. وقت المباراة كانت أمي بتشيل من قدامه أي شيء قابل للكسر.. ورثت عنه تشجيع الأهلي



وعشق كرة القدم عمومًا.. كان بيبقى يوم عيد لما يصطحبني معاه للاستاد، أيام لما كان الجمهور بيحضر. الكورة كانت فعلاً للجماهير، قبل ما تبقى للرعاة واستوديوهات التحليل في الفضائيات..

سمعت من كام يوم اقتراح كابتن مدحت شلبي في عمل محاكاة لصوت الجمهور، تبقى المباراة شغالة في الاستاد اللي زي الصحراء وهما في الاستوديو يسمّعوا الناس تفاعل وأصوات جماهير مسجلة مسبقاً عشان اللي بيتفرج على التليفزيون يشعر ويكأن دي مباراة ويكأن فيه جمهور في المدرجات.. اقتراح عبقري الحقيقة يليق بالمرحلة جدا..

كانت من أحلام اليقظة عندي أني أطلع لاعب كرة وبجيب أهداف والجماهير بتهتف لي، لأن الموهبة كانت ظهرت فعلاً مبكرًا.. كنت بستجيب لأي دعوة للعب الكرة سواء في الشارع عندنا أو في المناطق المجاورة أو مراكز الشباب – كانت كنايس شبرا متعودة تعمل كل صيف دورات لكرة القدم وأنشطة تانية كتير، فكنت عضو مؤثر دايمًا في فريق الكنيسة.. عمري ما هنسى لما كان عندنا



ماتش في مرحلة الثانوي وقبلها بليلة واحدة عقد الفريق انفرط بسفر اثنين أخوات وإصابة واحد بنزلة برد شديدة.. ساعتها كنا قاعدين في الكنيسة مع الخادم المسئول عن نشاط الكورة نفكر في حل للورطة دي.. الماتش بيبقى خماسي وكده معندناش غير أربعة أفراد ومفيش احتياطي – لحد ما شغلت دماغي وقلت للخادم أنا ممكن أجيب "زخاري" ابن عمي بكرة يعوض النقص ده.. مرضيتش أبص ناحية كريم لأحسن نظراتنا لبعض تفضح الكدبة.. أنا ماليش أعمام أصلاً، ولا حد في عيلتنا كلها اسمه زخاري.. أنا حتى معرفش ليه اخترت الاسم ده أصلاً دوناً عن كل الأسماء المسيحية! بعد ما مشينا كريم قال لي:

ـ مين زخاري ده يا عم؟

ـ أحمد كتكوت

ـ يا نهارك أسود!! أحمد؟ أنت ملقيتش غير أحمد؟!

ـ لو عندك حل تاني قوله.. هو الوحيد اللي فاضي والوحيد اللي هيرضى ييجي يلعب كورة لو في قسم الساحل حتى..



رحنا لأحمد كتكوت وفضلنا طول الليل نحفظه الاسم ونفهمه هيعمل إيه عشان ميفضحناش.. وبالفعل اتقابلنا الصبح جوه الكنيسة وعرفناه بالخادم ثم انطلقنا على كنيسة مارجرجس بشارع جزيرة بدران.. دخلنا الملعب الملحق بالكنيسة وغيّرنا هدومنا وجاء موعد مباراتنا- كان العرف المتبع إن الحكم بيجمع الفريقين ونقف في صف واحد في اتجاه الشرق نصلي الصلاة الربانية قبل المباراة.. أنا وكريم كان نفسنا الأرض تتشق وتبلعنا أو نحط شريط لاصق على فمنا عشان نكتم الضحك على نظرات البلاهة الممزوجة بالدهشة اللي بتصرخ في عين أحمد مع محاولاته أنه يبدو كواحد مسيحي زينا.. وهو مؤكد بيدعي ربنا إن اليوم ده يعدي على خير.. مفاتش ٣ دقائق إلا وارتكب أحمد فاول ضد لاعب من الفريق التاني - فصفر الحكم - جري عليه أحمد يصرخ:

- والمصحف ما فاول!!

توقف الزمن للحظات والصفارة انحشرت في فم الحكم وكريم حط إيده على رأسه وأنا كنت على وشك الأنهيار والحكم بيقول له:

- نعم؟؟!

استطرد أحمد بسرعة بديهة يحسد عليها:

ـ والإنجيل ما فاول، والمصحف ما فاول، والتوراة ما فاول.. أحلف لك بإيه تاني يا كابتن؟

رد عليه:

ـ أنا مش كابتن.. واحنا مبنحلفش يا حبيبي..

وإداله إنذار.

مفاتش دقيقتين كمان إلا وكان أحمد ارتكب فاول تاني أعنف استحق عليه الطرد.. وأنا تكفلت بالجري على أحمد أمنع طوفان الشتايم المتوقع، واصطحبته خارج الملعب وأنا باهمس له:

ـ روّح أنت يا أحمد كتر ألف خيرك متشكرين جدًا.. وحلفته بأمه يلبس هدومه من سكات ويمشي وسط نظرات قاتلة من أستاذ رفيق الخادم بتاعنا.. وكأنه بيقول لي هو ده ابن عملك المنقذ، قبل أن أعود للمباراة اللي لعبناها لآخرها ناقصين لاعب وأتغلبنا ٦/ صفر على ما أذكر..

مكناش كمان بنفوت أي دورة رمضانية بطبيعتها الساحرة الجميلة اللي لها بهجة خاصة بيها جدًا.. طعم الكورة والأجواء في ليالي



رمضان مختلف سواء كنت فائز أو مهزوم أو حتى متفرج فقط.. كانت ليا أنا وكريم صولات وجولات.. مرة اشتركنا في دورة من الدورات اللي كانت بتنظم برعاية رجل أعمال كان معروف وقتها في الشيخ رمضان.. كان غاوي كورة بيختار بنفسه الفرق بتاعته اللي هي فرقة المنطقة أصحاب الأرض والجمهور.. كان الملعب بتاعهم عبارة عن حارة من حواري المنطقة اللي الدخول إليها بسيارة من المستحيلات نظرًا لضيق الحواري المتلاصقة بشكل عشوائي..كنت بشوفه مرتين بس في الافتتاح وفي المباراة النهائية داخل بزفة على رجله.. فرقتنا مرة وصلت للنهائي وكان الطرف الثاني أصحاب الأرض من فرقة رجل الأعمال ده.. فاكرها.. مباراة كانت من كوكب تاني.. كل قرارات الحكم كانت عكسية لصالح أصحاب الأرض.. سكان الحارة كانوا متحفزين بشكل مريب للعيال اللي جايين من شارع الورشة عايزين يكسبوا ولادنا دول.. الأطفال كان لهم دور مميز في حدف الطوب الصغير اللي كنا مش عارفين مصدره منين.. كانت ملحمة حب لسيادة رجل الأعمال وفريقه ضد الأشرار.. اللي هو احنا يعني.. إحنا كنا ضيوف جايين



نتغلب من سكات وناخد جوايز المركز الثاني، اللي كانت لعبة مكعبات رديئة كده، والفريق الفائز اللي كان معروف سلفًا كسب تيشرتات الأرجنتين على ما أذكر.. المهم انتهت المباراة ورجل الأعمال مشي من هنا بصحبته.. واحنا أكلنا علقة موت من هنا.. لدرجة إن من كتر ما الحواري منفده على بعضها مكناش عارفين احنا بنجري منهم ولا بنجري نروح لهم أصلاً.

اتقلّبنا ليلتها في المكعبات وفي الفلوس عن طريق التثبيت بالمطاوي.. لكن الشهادة لله محدش أتعور. فيه منهم شخص حسيت منه ببعض الوقار والاستعداد للمناقشة، فطلبت منه بود يشوبه الحذر جنيه واحد بس نركب بيه.. وكانت المفاجأة أنه استجاب فشكرته على كرمه واستئذنته يسمح لنا بالانصراف.

الشيء الوحيد اللي كان له علاقة بكرة القدم ولا يمكن يجمعني بكريم هو يوم مباراة الأهلي والزمالك. كان كل واحد فينا يشاهد المباراة مع خاصته من بني جلدته أصحاب لون التيشرت الواحد.. تعصب كروي نعم، لكن مكانش له أي علاقة بالتعصب الحالي.. تحفيل على المهزوم أكيد، لكنه أبدًا لم يصل لمستوى البذاءات المبالغ



فيه اليومين دول.. مجرد تخيل فكرة أن الكورة تتسبب في موت حد كان بيبقي ضرب من ضروب العبث والجنون.. نوفمبر ٨٩ كان يوم من أجمل أيام حياتنا لحظة وصولنا لكأس العالم بهدف حسام حسن.. شبرا اتحولت شوارعها لكرنفال ألوان وأعلام ورقص للصباح.. مكانش لسه ظهرت جرايد متخصصة في الرياضة.. فكان الوصول لكأس العالم فرصة لابتكار فكرة أخبار الرياضة والأهرام الرياضي.. الليلة اللي تم الإعلان فيها عن صدور أول عدد من أخبار الرياضة روحنا أنا وكريم عند منفذ كبير لبيع الجرايد قدام جامع الخازندار.. المنظر كان كفيل بأني اتخذ قرار الرجوع فورًا.. أعداد مهولة من الشباب واقفين مستنين عربية أخبار اليوم تيجي ومعاها النسخ..كريم مسك فيا وقال لي أنا هاتصرف، فقلت له اتصرف براحتك أنا عندي فوبيا من الزحمة عمومًا.. فتركني بعد أن وعدني أنه يجيب لي عدد معاه.. عدى عليا بالليل مرهق ومتبهدل وفي إيده الكنز.. العدد الأول من أخبار الرياضة مقطوع منه جزء من آخر صفحة أثناء الصراع الدموي على اقتناصه.. سهرنا طول الليل نأكله أكل مش نقراه.. كان حدث نادر.



أنا فاكر مباراتنا الأولى في كأس العالم مع هولندا.. المباريات كانت بتتذاع عادي على التليفزيون الأرضي قبل تغول الرأسمالية الرياضية وتحول كرة القدم لتجارة وإدارة ورعاة وبينزنس كبير وسلعة تباع فقط لمن يشتري.. الصالة الواسعة عندنا في شقتنا الشرك كانت صالة العرض.. أبويا كان عاملها دعوة عامة بعد ما طَلّع التليفزيون من الغرفة.. باب الشقة كان مفتوح لأي حد عايز يشوف المنتخب معندوش تليفزيون.. "عدالة السماء نزلت على ستاد باليرمو" كانت صيحة الراحل محمود بكر لحظة احتساب الحكم ضربة جزاء لمصر.. لم أقتنع بالجملة دي حتى أرى الكرة داخل المرمي.. ولم يقتنع أبويا اللي تركنا كلنا وفتح باب السطح وخرج يداري وشه عن مشاهدة مجدي عبد الغني وهو بيتصدى لتسديد الضربة.. أبويا مكانش محتاج يرجع يبص على التليفزيون عشان يعرف الكورة هزت الشباك ولا لأ.. كان يكفيه شارع الورشة اللي أتهز كأنه دوي زلزال.. صراخ الناس على القهاوي ومن داخل البيوت المجاورة.. زغروطة أمي اللي مكانش ليها في الكورة وقاعدة في أوضتها تخرط الملوخية لكنها شايفة فرحة الضيوف في الصالة.. فحبت تشاركهم



وجدانيًا الفرحة.. طالما الناس فرحانة يبقى نزغرط.. منزغرطش ليه..

تابعت الولاد وهما بيمشوا، وقبل ما يبعدوا سألتهم: ـ عايزين تطلعوا زي مين من اللعيبة؟

فأجابوا بصوت واحد متوقع:

ـ محمد صلاح يا عمو..





دون كيشوت !!

"شيفو.. يخرب عقلك عجزت ياض"

ضحكت من قلبي أول ما شفته.. ده "أيمن سلكة".. قمت من قعدتي أخذه بالحضن وأنا بقول له:

ـ دون كيشوت النصاب!

ـ آه والنبي يا شريف – ورحمة أمك يا شيخ لتريحني.. إيه دون كابوتشة اللي بقالك ١٠٠ سنة بتقولها لي دي؟

ـ طب أقعد بس نشرب حاجة الأول.. دون كيشوت ده يعني الواد الروش بالهولندي

ـ يعني حاجة كويسة أهيه.. أصل الواد عاطف جلاش الله يرحمه كان بيقولي شريف بيشتمك..

تغيرت ملامحي للحظة ورديت بحزن:

ـ الله يرحمه قطع بينا كلنا، تشرب إيه بس؟

قال لي أنه هيوصل البيت بس بيجيب حاجة ويرجع ووصاني إني ممشيش.. ودعته وأنا متأكد أنه مش هيرجع ثاني.. أصل دي



عادته.. هيقابل وهو ماشي ألف صاحب بألف حكاية وهيوعدهم كلهم أنه راجع ومبيرجعش..

"أيمن سلكة"، ده كان لقبه بين أصحابه نظرًا لنحافته الشديدة.. كان بالنسبة لي صاحب قهوة، بس مش ده بس اللي كان بيشتهر بيه.. أيمن كان النموذج الصارخ للمصطلح الدارج في أحيائنا الشعبية "فنجري بؤ" – عنده قدرة مذهلة على اختلاق حكايات وهمية بسيناريوهات وحبكة درامية يتفوق فيها على أسامة أنور عكاشة في عز مجده عن مغامراته وبطولاته وإنجازاته.. كان عنده القدرة أنه يستلف من حد جاكت ولا جزمة أو حزام وينتهي به الأمر أنه يرجع يبيعهوله بكل سرور.. برغم ضآلة جسمه إلا أنه كان من أكثر الناس اللي بيتسببوا في خناقات داخل شوارعنا وحوارينا أو حتى على القهوة أو في خروجة، بسبب صوته العالي وامتلاكه لمفردات قاموس كامل من العبارات المتراصة التي تكون بمثابة فتيل الإشعال للمعارك الحقيقية اللي بيطلق شراراتها الأولى دايمًا أيمن سلكة، الباحث دايمًا عن المتاعب بسبب ومن غير سبب، اللي غالبًا ما بيزوغ منها بدهاء بعد أن يحول المكان اللي متواجد فيه



لساحة حرب ما بين اللي بيتخانقوا معاه وبين اللي بيدافعوا عنه.. وعنده المقدرة للظهور في الوقت المناسب يحكي عن الواد فلان اللي زنقه في الحارة الفلانية وأشبعه ضربًا.. كان "عاطف جلاش" الله يرحمه دايمًا الضحية اللي بتاخد كل الضرب بدلاً منه.. كان صديق عمره، اللي وفاته من كام سنة في حادث سير كانت صدمة لينا كلنا، وخصوصًا أنا بعد ما قربت منه آخر سنوات حياته وجمعنا شغل الملابس لما جبناه أنا وكريم يشتغل معانا في الشركة..

عشان كده كنت بقول على أيمن سلكة "دون كيشوت"، أول ما كان بيهل علينا على القهوة بصحبة عاطف جلاش زمان.. مكانش حد يعرف سبب تسميتي للاثنين كده غير كريم لأنه قرأ زيي الرواية. كنت بقول له حرفيًا والله يا كريم.. أيمن كان نحيف جدًا بس عايش دور الفروسية والشهامة والبطولة اللي عاشهم المزارع الغني "لونسو كيخانو" في رائعة ميجيل دي ثيربانتس "دون كيشوت"، وعاطف بجسمه المليان حبتين وكرشه الكبير وقصر قامته النسبي هو "سانشا بانتا" البدين رفيق الروح الأصيل، المؤمن بانتصاره هو وسيده الفارس النبيل أخيرًا على قوى الشر،



واللي طول الوقت متورط معاه في شطحاته وجنونه وهو بيحارب طواحين الهواء الشريرة بعد أن قرأ حتى الثمالة لكتب وحكايات النبلاء والأبطال الأسطوريين والفرسان المتجولين الخيالية.. عاطف جلاش هو سانشا رفيق البطل لونسو كيخانو في معاركه نحو الحصول على لقب ملوك شبرا.. عاطف جلاش ده بقى هو أطيب وألطف بني آدم قابلته في حياتي على الإطلاق.. ظاهرة تُدرس في حسن الظن بالآخر وتصديق كل شيء.. متصالح مع نفسه ومع الآخرين.. بسيط.. شفاف.. اللي في قلبه مش بس على لسانه، ده بيظهر في عينيه فورًا دون أي مجهود يذكر من المتلقي.. حياته اللي حكهالي وأزماتهم العائلية الطاحنة بعد وفاة والده، بعد ما ظروف الشغل وأحيانًا السفر والمبيت في الفنادق بالأقاليم قربتني منه.. كانت عالم آخر ملوش علاقة ببساطة وسطحية عالمه اللي كنا بنشوفه على الواقع وهو مزامل صديقه أيمن سلكة في عشرة دمينو مرابعة. يمكن اللحظات دي كانت لحظاته المفضلة في كل حياته البائسة اللي بيحس فيها بالعظمة والإنجاز.. كان سلطان دومينو بمعني الكلمة.. عبقري.. كان يكفيه جولتين ويعرف الورق اللي



مع زميله ومع الخصوم.. حساباته الرقمية داخل مخه اللي كنا بنقول عليه مفوت ولا أجدع آلة حاسبة.. كنت بافرح له جدًا وأنا شايف نظرات الثقة في عينيه وتعبيراته الطفولية وضحكته المجلجلة اللي بيهتز معها جسده البدين بعد الفوز وكلمات السخرية اللي بيطلقها في حق المهزومين.. عاطف جلاش كانت لحظات صمته الغامض في بداية معرفتنا بيه، واللي كانت أحيانًا فيه ناس بتفسرها بنظرتها ومفهومها السطحي أنه مجرد عيل غلبان بيصرف على أمه والدنيا حاطة عليه، كانت وراها حكايات كثيرة وأحلام كثير موؤدة، وإرث أكله عمه عليهم بالكامل.. حكايات صنعت منه إنسان خايف دايمًا.. مُحَبط وأحيانًا مُحِبط.. كان بيتطرد من الشغلانات اللي اشتغلها لأسباب كلها تتعلق بالاستعباد والإهانة، لحد ما ربنا بعت له الشغلانة دي معانا عن طريق كريم. عرفته ساعتها أكثر.. عاطف جلاش كان بيمثل لي الصراع بين الفطرة السوية والأصل والقلب الطيب، وبين رد الفعل اللي لازم تفرضه عليه الظروف عشان ميبقاش عبيط في نظر الناس وبالتالي في نظر نفسه.. عاطف الصبور بشكل خيالي.. كاظم الغيظ بشكل ملفت.. مرعب في



لحظات غضبه القليلة.. الخدوم بشكل يثير العجب ويطرح أسئلة: يا ترى نهاية الإخلاص الشديد الدؤوب في إتمام خدمته إيه؟ فتفاجأ بانصرافه في هدوء زي النسمة.. قد لا تلمحه أو تلتفت إليه وهو ماشي دون أن ينتظر كلمة شكر حتى ترضيه معنوياً.. عملها معايا في يوم نقل العزال من شبرا لعين شمس.. بعد ما انتهينا وبدأنا نجمع الناس عشان الغداء فوجئنا أن مفيش عاطف، رغم أنه أكثر واحد شال وطلَّع حاجات ثقيلة.. جريت على الشباك أشوفه إن كان واقف مستني حد ينده له – لقيته بيترجل بعيدًا بمرح مش سامع حتى صوت رنات موبايله في جيبه وأنا باتصل بيه يرجع..

مرة قال لي أنا اتخلقت مرزق لغيري يا شريف.. الناس بتحبني عشان وشي حلو عليهم وقرفتي حلوة.. لكن أنا نفسي شخصية منحوسة.. أنت عارف؟ مرة عوض بتاع اللمون زمان في سوق الحافظية كان عنده مشوار وقال لي أقف يا عاطف بيع لي اللمون ده وآخر النهار هديك ٥ جنيه، كانت مبلغ وقتها.. وقفت يا شريف وبعت له في ظرف ٣ ساعات اللمون كله لحد آخر حباية.. لما رجع بالليل يحاسبني وأديته الفلوس كان مبهور.. قال لي أنا في عمري



كله ما بعت اللمون كله في يوم واحد.. عجبني الموضوع ولقيته بيكسب.. روحت واخد الخمسة جنيه وحطيت عليها فلوس تانية كنت محوشها واشتريت شوال ليمون.. روحت بيه سوق الخلفاوي ودفعت أرضية، ووقفت طول اليوم أنده على الليمون.. عارف إيه اللي حصل؟ قعدت شهر الشوال في البيت وكل شوية أزعق لأمي وأقول لها أنتي قاعدة ليه قومي أعصري لنا ليمون نشربه.. مبعتش لمونة واحدة يا شريف. قال لي هحكيلك مرة تانية واحد قال لي أنه بيقف قدام باتا اللي في شارع الترعة بميزان الناس تقف توزن عليه نفسها والمرة ببريزة وبيكسب والدنيا حلوة معاه.. كنت محوش قرشين فاشتريت ميزان زيه ووقفت بيه في دوران شبرا.. الدنيا كانت حلوة والبريزة على بريزة عملت جنيه والجنيه عمل عشرة.. جيت على الساعة ٩ بالليل تعبت وشيلت الميزان وقلت أروح وبارك الله فيما رزق.. مشيت خطوتين وروحت واقف وقلت لنفسي ٩ من ١٠ مش هتفرق.. أرجع أقف كمان ساعة.. عارف إيه اللي حصل : جت لي واحدة وزنها ضخم جدًا وطويلة جدًا ما شاء الله.. لقيته راح في كريزة ضحك حتى الدموع لحد ما تمالك أعصابه



وقال لي: نطت!! نطت يا شريف.. سمعت صوت طرقعة وحاجات بتتكسر جوه الميزان كأنه صوت فقرات رقبتي أنا.. الميزان انكسر يا شريف.. ما أنا كنت مروح إيه اللي رجعني؟! صرفت كل اللي كسبته يومها على تصليحه وكمان اللي صلحه طلع نصاب وفي الآخر منفعش وبعته لبتاع الروبابيكيا..

الله يرحمك يا عاطف.. مات عاطف وهو سايب طفلة بعدما اقتنع أخيرًا بفكرة الزواج رغم رفضه لها طول السنين.. رحل عاطف اللي كان محبوب من كل المحلات والشركات اللي بنشتغل معاها وكان أغلبهم بيتفاءلوا بيه، لدرجة أن فيه ناس وقفت التعامل معانا بالتدريج بعد وفاة عاطف.. فيه جملة ساعات الناس بتقولها لما حد غالي يموت "راح وراحت معاه البركة".. الجملة دي في حالة عاطف أنا جربت بنفسي صحتها..





سمير الحرامي !!

قمت شوية أفك رجلي من القعدة اللي طولت، وعملت اتصال بالبيت عشان أعرفهم أني مكمل في شبرا لحد معاد القاعة، وبالمرة أسمع صوت العيال.. كدبت على المدام وقلت لها أني قاعد مع جماعة أصحابي.. مرضيتش أقول لها أني طول الوقت ده قاعد لوحدي.. سجايري خلصت فقمت اتحرك ناحية أم رشا البقالة اللي كانت تحت بيتنا القديم على طول.. لقيت بنت من بناتها قاعدة مع جوزها جوه المحل.. سلمت عليهم واشتريت منها علبة سجاير وأنا بسألها عن أمها. عرفت منها أنها بقالها شهور مبتنزلش، تعبانه. الأمر مش محتاج للكثير من الذكاء عشان أفهم أن الست وصلت لمرحلة من الشيخوخة يصعب معها النزول وبذل أي مجهود.. أم رشا دي كانت البقالة الأشهر في الشارع، بس أغلب الناس بتتحاشى الاحتكاك بيها عشان يتقوا شر لسانها الطويل وصوتها العالي.. كانت دايمًا تقول لأبويا لما ينكشها ويهزر معاها "الشرشوحة ست جيرانها يا شوقي". كنت ساعات أقول له أنا



مبحبش الست دي، قوية كده ومفترية، وألفاظها البيئة دي دليل على أنها ست مش تمام، فكان يقول لي بكرة تعرف أن مش كل اللي صوته عالي سكته شمال ولا كل اللي بيمشي حاطط وشه في الأرض ومحدش بيسمع له حس ملاك من السماء.. الدنيا مدورة زي البرتقالة يا شريف والبرتقالة لو نصها بايظ ونصها الثاني سليم فيه ناس هتشوفها تنفع للأكل وناس هتشوفها لازم تترمي في الزبالة والصورة الصح اللي لازم تاخدها عن البرتقالة لما تمسكها بأيدك وتشوف بنفسك وشها وضهرها..

كان بيقول لي أم رشا عندها أربع بنات. مطلوب من الست دي اللي جوزها مات بدري أنها تربي وتأكل وتشرّب وتجوّز الأربعة دول، وفي نفس الوقت تحافظ على شرفها وشرفهم.. أم رشا غلبانة أوي يا شريف وملهاش حد – الدنيا فعصتها ورميتها في الشارع بدل ما تتستت في بيت جوزها.. هي حست أنها لو مصدرتش الوش الناشف ده للدنيا هتتفرم هي وبناتها.. دماغها ودتها لكده.. إنما هي، أنا عارفها من أيام ما كنا جيران زمان في بيت جدك.. وأديك شايف محل البقالة ده جوزت منه بنتين وشابكة نفسها في الجمعيات



اللي بتعملها، اللي لو جابت ورا وملبستش عباية الرداحة هيتنصب عليها وتبقى ملطشة للي ميسواش.. الدنيا مش أبيض وأسود بس يا شريف..

افتكرت أني لسه متصلتش بيه أعرفه خبر وفاة المعلم مقار، وقلت له أني قاعد مستنيه في شبرا نروّح مع بعض.. اطمنت عليه أنه كويس لما شتمني.. طالما شتمني يبقى مزاجه رايق ومش زعلان مني في حاجة.. أنا باترعب منه لما يكلمني عادي، بيحصل لي عصف ذهني وأنا بفكر أنا زعلته في إيه..

كبر برضه شوقي وعجز.. والعجز بان عليه أكتر لما اضطر يبيع التاكسي، بعد ما عينه تعبت ونورها معادش يكفيه يشوف بيه الطريق والعربيات، وذهنه وأعصابه بقوا غير قادرين على تحمل شغلانة السواقة المجهدة.. حما أخويا الكبير راجل أصيل وصان العيش والملح اللي بينهم، عيّنه ملاحظ عمال في مصنع المنظفات بتاعهم.. هو فعليًا مبيعملش حاجة تذكر، بس الراجل عارف إن اللي زي أبويا لو قعد في البيت يموت.. أبويا ده أنا حضرته في ٣ شغلانات.. كان فيه شغلانه رابعة بس مكنتش أوعى عليها.. كان



مكوجي.. من بعدها اشتغل شيّال في محل تجارة جملة الغلة والبقوليات.. عيلة كبيرة من تجار الساحل بتوع الفول والعدس واللوبيا وخلافه.. المحل ده كان تحت بيتنا على طول.. عينيًا فتحت عليه لما كنت بابص من السطوح عليه وهو بيرفع شوال الفول ويحمّله على العربيات.. فضل ملازم للسوّاق وشغّال معاه تبّاع وعينه دايمًا عليه وهو بيسوق، وبيحلم باليوم اللي يتعلم فيه السواقة منه، ويطلّع الرخصة ويسوق العربيات بديلاً عن الشيل والحط والبهدلة، وقد كان. استخرج الرخصة وأصبح سواق لإحدى سيارات المعلم صبري صاحب المخازن.. خرجنا في يوم أنا وأمي وأخواتي على صوت زعيق في الشارع وشفت بعيني لحظة طرده من المعلم صبري لايف على الهواء مباشرة.. كنت صغير ساعتها مش فاكر إيه اللي حصل بالضبط، بس اللي فاكره إن الراجل ده لما كبر بقى صديق شخصي وزبون دايم لأبويا على التاكسي بتاعه اللي اشتراه بالقسط بعدما طلع كام سنة على تاكسي غريب بنظام الوردية، وعن طريق الجمعيات اللي كانت بتعصف بحياتنا عشان نوفرها.. حصل على المقدم واشتراه.. فيات ١٢٨ .. زوبة أحد أفراد



العيلة على مدار أكثر من عشرين سنة، لحد ما الحكومة عملت قرار الإحلال بتاع التاكسي الأبيض وتسليم التاكسيات القديمة.. اليوم ده صحينا بدري كلنا على صوت بكاؤه وهو بيلبس هدومه ونازل.. فشلت كل محاولاتنا في إقناعه أن التاكسي اللي جابه واشتغل عليه السنين الطويلة دي ما هو إلا حتة حديدة هتروح تسلمها تتكهن وتستلم مكانها عربية حديثة لسه بخيرها.. أنا شخصيًا فشلت في إقناعه لأني شخصيًا بكيت على زوبة عِشرة العمر.. أبويا ساعتها قال لنا أنا حاسس إني رايح أسلّم عيل من عيالي للموت.. كنا عيلة عاطفية أوي.. الكلام ده لما حكيته للناس ضحكت علينا، بس فعلاً إحنا نزلنا كلنا الشارع نودع زوبة لمثواها الأخير.

أبويا من يومه كان له دماغ كده لوحده وفلسفة حياتية خاصة بيه.. يعني حكالي مرة أيام ما كان شغال صبي مكوجي إن كان فيه مكوة متأخرة ولازم يوديها للناس وصاحب المحل مش موجود، ملقاش قدامه على القهوة غير واحد معروف في المنطقة باسم "سمير الحرامي" كله عارف أنه حرامي، بس أبويا لسبب ما لا يعلمه إلا



الله وغير منطقي خالص بمقاييس زمننا دلوقتي قال له خلي بالك م المحل يا سمير لحد ما أودي المكوة وأجي.. المهم خلّص مهمته وسلّم المكوة لأصحابها، وهو راجع قابله في السكة صاحب المحل.. فالراجل سأله أمال سايب مين في المحل يا شوقي؟ رد عليه بكل براءة سمير الحرامي، قلت له ياخد باله من المحل لحد ما أخلص.. الراجل اتشال واتهبد وقال له ما أنت عارف إن الدرج فيه فلوس مخدتهاش من إمبارح يا ابن الكلب عليه العوض.. قدامي.. ده أنت ليلتك سودة..

المهم راحوا جري وفوجئوا بسمير الحرامي سايب القهوة وساحب كرسي وقاعد قدام المحل ماسك عصايا للعيال وعمال يزعق لهم عشان يلعبوا بعيد، وأول ما شافهم جايين عليه قال لأبويا اتأخرت ليه يا شوقي، وسلّم على صاحب المحل وخذ الكرسي ورجع بيه على القهوة بهدوء..

صاحب المحل دخل جري يتمم على الفلوس ولقاها كاملة.. فأبويا قال له يا أسطي عريان أنا عارف بعمل إيه.. من آمنك لم تخونه ولو



كنت خاين.. الراجل قال له: يخرب بيت أهلك برضه يا حكيم زمانك وقعت قلبي.. غور من وشي الساعة دي..

سألت أبويا:

ـ إنت بجد مجاتلكش لحظة شك أن سمير ده ممكن يسرقك؟

قال لي:

ـ خالص.. مستحيل يا ابني.. احنا كان عندنا الحرامي ميسرقش غير بره منطقته.. البلطجي في الحارة مبيلطجش على جيرانه، بالعكس يحميهم.. كانت ساعات بتقوم خناقات وكل شحط والتاني قد الدولاب.. وفي اللحظة اللي يوصل فيها راجل كبير ولو مكحكح وماشي بعكاز وشخط فيهم شخطة واحدة، الخناقة تقف كأن حد داس على زرارها.. ولو ادى لحد قلم على وشه ميرفعش عينه فيه.

ميغركمش الحكمة والرزانة اللي عمّال أحكي عنها في أبويا دي.. الأسطى شوقي كان دبور كبير ووسيم وأمي كانت دايمًا تقول لي أنت مش طالع لأبوك ليه بشعرك الأكرت ده.. فكنت أغيظها وأقول لها طالع لأمي..



بيحكولي إن أبويا في شبابه كان تاعب أمي جدًا، وكان بيسهر لوش الصبح بره وصاحب مزاج، بس محدش كان بيمسك عليه غلطة، وهي مكانتش عبيطة بس كانت زي أغلب ستات الحواري، حيث العيشة الصعبة والظروف والالتزامات اللي ملقاه فوق اكتافهن، كانت بتتغاضى عن حاجات كتير وتكبّر دماغها عشان المركب تمشي والولاد يتربوا ويتعلموا، عشان نسلمهم لمستقبلهم اللي لعله يكون أجمل من حاضرنا، زائد انها كانت بتحبه..

حكالي هو نفسه أنه رجع البيت مرة الفجر، وأمي كان أخرها تنام الساعة تسعة، فداخل يتسحب على الأوضة فحست بيه.. صحيت تفرك في عينها وتقول له:

ـ أنت جيت يا شوقي؟ أقوم أحضر لك العشاء؟

فقال لها:

ـ لا مش جعان اتعشيت بره في الشغل..

قالت له:

ـ هي الساعة كام؟

ـ الساعة ١٠..



وفجأة انطلق أذان الفجر من الجامع اللي جنبنا على طول

ـ إيه ده؟ ده أذان الفجر يا شوقي؟

ـ لأ دول أصحاب الجامع جابوا ميكروفون جديد وبيجربوه

وإذا بأذان الفجر ينطلق مرة أخرى من الراديو اللي في أوضة الجيران في الشقة

ـ الأذان في الراديو كمان! أنت مش بتقول لي الساعة عشرة؟

تغيرت ملامح وجهه وتصنع الغضب وهو بيشخط فيها: ـ أيوه عشرة انتي هتكدبيني وتصدقي حتة راديو؟

قالت له:

ـ لأ يا أخويا مصدقاك تصبح على خير.

●●●



رمضان جانا !!

خدت علبة السجاير ولفيت عشان أرجع لمكاني على القهوة، يمكن اتكعبل في حد تاني من شلة زمان.. لقيت شابة حلوة كده في أوائل العشرينات من عمرها داخلة على المحل وبصالي في عينيا مباشرة وهي بتقول لي بابتسامة جميلة:

ـ أزيك يا عمو شريف.

رديت عليها السلام على طول وإن كانت عنيا بتبوح لها إني مش عارفك، فاستطردت بسرعة اللي متوقعة إني مش عارفها:

ـ أنا نوال بنت موسى.

ـ يخرب بيتك يا نوال.. بقيتي مُزة، ده أنا كنت لسه هعاكسك.. أبوكي عامل إيه؟

ضحكت و قالت لي:

ـ كويس.. وكان على عيني والله يا عمو، لو مش مخطوبة كنت ممكن أفكر..



سلمت عليها ومشيت.. أبوها ده كان فنان المنطقة.. شُغلته خطاط يكتب يفط وإعلانات.. كان خطه عظيم مع أني سمعت أنه مدخلش مدارس..كان محله المكركب الفوضوي دومًا بيبقى مليان بلوحاته ومجسمات ويفط خطها بإيده.. جاليري شعبي جميل لا يفسد روعته الحالة السيئة للحوائط اللي مليانة شخابيط من أثر مسح صوابعه عليها من بقع البوية والدهانات.. كان موسم الانتخابات ده لعبته وأيام سعده، مكانش بيكتفي باليفط العادية البفتة اللي كانت بتبقى صيد ثمين بعد الانتخابات لفقراء المنطقة قبل ما شركات الدعايا تتجه للبلاستيك اليومين دول.. مرة كان حزب الوفد قوائمه شعارها النخلة.. صنع نخلة مهولة احتاجت العشرات من شباب المنطقة يساعدوا في تعليقها ما بين سطوحنا والبيت المقابل.. كان بيتبرع بمجهوده وفلوسه كل رمضان ويشتغل بمزاج عالي في صنع مجسم لجامع أو للكعبة أو فانوس.. كانت أعماله الفنية بالإضافة لمجهوداتنا واحنا عيال في صنع زينة رمضان بايدينا بالورق بأقل التكاليف مع صفوف اللمبات اللي



بنلم حقها من البيوت بتكون لوحة فنية مبهجة بتحول ليل رمضان لكرنفال..

رمضان كان بالنسبة لي كمسيحي وبعيدًا عن قيمته الدينية والعقائدية والروحانية عند المسلمين، كان مصر. مصر البيور البسيطة الطيبة.. شبرا مع أول دقة مسحراتي بعد ثبوت الرؤية وافرحوا يا عيال بكرة رمضان.. فكنت تلقائيًا بافرح، على إيه وليه؟ مش مهم.. المهم انه فيه حالة فرح جماعي يبقى يللا بينا نفرح..

"مولاي إني ببابك قد بسطت يدي"، مكنتش أعرف إن الراجل اللي صوت ابتهالاته ده بيعدي من الودان يقتحم القلب اسمه النقشبندي.. بس كنت أعرف اسم محمد رفعت وهو بيأذن بصوته الجميل للمغرب عشان بيتكتب على التلفزيون.. كل حاجة بشتريها طعمها في الشهر ده بيبقى مختلف والإقبال عليها له بهجة أكبر.. زحمة على المخلل والعرق سوس والتمر هندي والسوبيا.. زحمة دون امتعاض أو زهق.. مدفع الإفطار إضرب.. فالعيال تهتف هيييه وتضرب بمب.. كنت بقول معاهم هيه برضه.. فيه قرار بالفرح فبنفرح.. يمكن كمان عشان جعان وعطشان وحان وقت الأكل



والشرب لأن كان بيبقى فيه فرمان من أبويا بعد ما فطرنا دكاكيني الصبح جوه في أوضتنا في الشقة الشرك بعيدًا عن عيون الصائمين من جيراننا في باقي الغرف، إننا نأجل غداءنا عشان نتغدى بيه معاهم على المغرب.. كان بينجح في إقناعنا إن مجاتش على ساعتين يعني ونأكل سوا فنتلم على الطبلية.. آه فاكرها كانت طبلية كبيرة في الصالة، مكناش نعرف بتاعة مين.. هي بتاعة اللي هياكل عليها.. كنا بنتجمع مع جيراننا المسلمين عليها فتتوه الأطباق والأصناف بين الأيادي ومحدش عارف من العيال مين طبخ إيه..

الدورة الرمضانية اللي عمر ما فريقي كسبها، جزمة فطوطة وبابيونه وتليفونه وبدلته الخضراء المتميزة.. عمو فؤاد وفوازيره السهلة وطيبة قلبه اللي شبه طيبة قلوب أغلب عواجيز شارعنا.. العمدة الآلي وخضار عيون نسرين الساحر.. كاريزما نيللي.. الحضور الطاغي لشيريهان.. مكناش بنسأل ولا نندهش إزاي القرد بوجي أخو الأرنبة طمطم وعقولنا البسيطة مكانتش مستوعبة غير أن الصوت لبوجي وطمطم مش ليونس شلبي وهالة فاخر – عشقنا نرفزة عم شكشك وبراءة الأخت الصغيرة طماطم.. كانت الخناقة



المعتادة مين الأفضل.. ليالي الحلمية ولا رأفت الهجان.. كنا بنخاف من شهريار ليغدر بشهرزاد لو فشلت تحكي له حدوتة تأجل معاد ذبحها ليلة كمان.. انتظرنا طويلاً ظهور الأشكيف.. كنت بخاف من زوزو نبيل قبل ما أكبر وأعشق صوتها الدافئ.. لمة الناس على عربية الفول سحور الغلابة وكأنهم أول مرة يأكلوه.. ريحة القطايف وزفة العيال للمسحراتي وطلبهم منه ينده على أساميهم فرد فرد.. أطباق الزبادي الفخار واللوحة الفنية اللي بيرسمها بتاع الكنافة.. صوت الجيران بالليل وهما بيحضروا السحور.. خطوات الناس والشوارع هادية وهي ماشية مع أول خيوط الفجر للجامع يلحقوا الفجر حاضر.. كانت أيام جميلة وصافية.. معرفش ودعتها لما سبت شبرا ولا ودعتها لما الطفل اللي جوايا كبر وساب باقية الأطفال يحسوها لحد دلوقتي زي ما كنت بحسها..

رجعت تاني لمحل أم رشا اسأل على الأسطي سيد وأنا بشاور ناحية محل ساندوتشات كبده وسجق شكله فاتح جديد.. فقالت لي بنتها أنه في السعودية من زمان ومبينزلش خالص.. سيد كان فاتح المحل ده قبل ما يتغير للساندوتشات.. كان بيصلّح فيه الثلاجات



والغسالات.. كان صنايعي بريمو ولسانه حلو مع الناس.. اشتغلت معاه مرة في الإجازة عشان تصليح الأجهزة ده كان جزء من دراستي في الثانوية الفنية.. قبل ما أسيب الشغل عنده وأرجع للدراسة جالي آخر يوم وقال لي أنت عارف أنك عملت في فاطمة بنت أختي معروف عمري ما هنساهولك؟

استغربت جدًا من السؤال.. البنت دي كانت نازلة مصر مع أمها وأبوها من السعودية أجازة وكانت بتعاملني وحش جدًا وكانت نظراتها لي في اللحظات القليلة اللي بارفع عيني فيها احترامًا للأسطى سيد مكانتش مريحة.. بس الغريب فعلاً إن قبلها بيومين كانت ودودة جدًا معايا لما نزلت تسأل على خالها واتبادلت معايا كام كلمة بابتسام ومحبة كانت غريبة على أسلوبها الجاف.. بس أنا مكنتش بحط في بالي أصلاً والموضوع مش ممثل لي أي أهمية.. لكني رديت عليه باستغراب..

ـ أنا؟ أنا عملت لفاطمة معروف؟

قال لي:



ـ أنت من كام يوم لقيت في المخزن مصحف قديم مقطوع وأوراق منه كانت واقعة على الأرض؟

ـ أيوه.. تقريبًا كان حد ناسيه بقاله كتير جوه، فجمعت كل الورق وحطيته جوه المصحف بالترتيب وجبت بكرة اللزق ولزقته وحطيته تاني على الرف..

ضحك و قال لي:

ـ أهو كل اللي أنت قلتهولي ده فاطمة حكيتهولي.. كانت شايفاك من بعيد وأنت محستش بيها..

قلت له:

ـ معلش يا أسطى أنا لسه مفهمتش معروف إيه اللي عملته؟

قال لي:

ـ البنت دي أبوها متشدد أوي وحشى دماغ البنت بفكرة منيلة عن المسيحين.. البنت طالعة غيرنا أنا وأمها خالص لحد ما شافتك وأنت بتلم ورق المصحف وتلزقه.. طلعت لي جري قبل ما أنزلك تحكيلي وأنا ما صدقت أديها كلمتين بعيد عن أبوها وأفهمها الصح



بعيد عن الغل والكره اللي زرعه في دماغها ده عشان أغير فكرتها عنكم يا عم.

فضحكت وقلت له:

ـ بس البنت عندها حق يا أسطى.. المسيحيين ميتحبوش أصلاً اسألني أنا..

ضحك وخدني بالحضن وقال لي:

ـ مستنيك الأجازة الجاية يا شريف.

"بس روقتوا الحمام يا وائل وبقى نضيف"..

قلتها لوائل وأنا بطلب شوية شاي تاني في الخمسينة بعدما خرجت من الحمام.. مردش عليا غير لما جالي بكوباية الشاي فقال لي وهو بيحطها قدامي:

ـ ما هو لازم شوية تجديد يا شيفو.. فاكر صاحبك المجنون كان كاتب إيه بالطباشير جوه؟

ضحكت وقلت:



ـ هذه هي المبولة يا ولا.. بقولك يا وائل.. أمال فين اليافطة الكبيرة اللي عليها صورة الواد تامر الله يرحمه اللي اتعلقت على الناصية بعد ما استشهد في التحرير؟؟

قال لي:

ـ اتشالت من بدري ياعم، انت لسه فاكر؟ قلبك ابيض..

لسه هطلع سيجارة وأولعها لقيت شاب وقف قدامي وعرقه يتساقط وعلى كتفه شنطه وبدأ يرمي أسطوانة مندوبي المبيعات..

روحت مقاطعه بابتسامة:

ـ هوب.. أقعد.. تشرب شاي معايا؟

بص لي باستغراب شديد وأنا بديله كوباية الميه يشرب وخدها فعلاً وشرب، وبعد أن انتهى قال لي متشكر يا باشا.. أنا معايا..

قاطعته تاني:

ـ أقعد.. أقعد.. هطلب لك شاي ماشي؟

ابتسم وقعد.. قلت له بص أفتح الشنطة وطلع اللي معاك كده.. شوية أقلام على مكن حلاقة على ميداليات على محافظ.. خدت لي منه كام حاجة وحاسبته عليهم وأنا مش مركز مع أي كلمة من



كلمات الدعاية والتسويق الميكانيكية اللي عمال يقولهم.. ولا حاجة فيهم كنت محتاجها أصلاً يمكن عشان عارف أنه تعبان من اللف على رجله طول النهار.. أو عارف أنه بيصطدم بسخافات وتعليقات سمجة وأحيانًا صد وإحراج أو تجاهل مقيت بدون كلمة شكر حتى.. أو يمكن عشان فكرني بنفسي في بداية عملي مع كريم في شركة الملابس كمندوب مبيعات.. يا ما قابلت وشفت ولسه بشوف.. يمكن الوضع اختلف دلوقتي بعد ما الشركة اتعرفت وبقى لها اسم في السوق، فأصبح العملاء هما اللي غالبًا بيجولنا، وبقيت نادرًا لما بانزل أفتح اسواق جديدة.. حتى لما بانزل بلاقي الناس عارفانا.. الشغلانة دي كنت هاسيبها في أول يوم ليا في الشركة أنزل فيها السوق أعرض منتجاتنا.. قبلها روحت أعمل مع صاحب الشركة أول مقابلة.. لبست اللي علي الحبل وكريم كان مظبطني عنده وقال لي هيتكلم معاك شوية وتنزل معانا.. كان راجل داهية ولازال.. سابني اتكلم واستعرض لباقتي وقدراتي علي البيع والإقناع والتسويق وفي الآخر قال لي مبروك يا شريف انت معانا.. بكرة تيجي ومعاك طقم قديم كده في شنطتك عشان هتنزل



تشتغل مع العمال تحت في المخازن وانت وشطارتك.. أول ما تلاقي نفسك مؤهل تنزل السوق كمندوب مبيعات قول لي..

صدمني بكلامه وأنا جاي لابس له الحتة الزفرة، لكنه كان ذكي في استفزاز قدراتي ومواهبي.. وبالفعل مكملتش شهر إلا وقلت له انا عايز أخد طقم عينات وأنزل.. وافق وقال لي براحتك بس اتكلم مع كريم شوية ينقل لك خبرته عشان الموضوع مش سهل.. المهم أخدت طقم العينات ونزلت مصر الجديدة.. اليوم ده اتحفر في دماغي ولا يمكن أنساه.. أول محل أدخله وأقول يا هادي لقيت راجل كبير قلت يا مسهل شكله راجل طيب وهينفعني.. مديت له إيدي وأنا بعرفه بنفسي وإذا بعاصفة من الصراخ والعصبية: هو كل اللي يدخل يمد إيده ويسلم عليا هو أنا فاتحها سبيل ورفض يسلم عليا وكسف مدة إيدي.

الدنيا لفت بيا وحسيت أن جردل ميه ساقعة اتهبد في وشي والحياة اسودت في عيني وأنا واقف متنح للحظات ثم قررت ألف وأمشي من المكان بأقصي سرعة لأن ده الخيار الوحيد بدل ما أضرب أو حتى أشتم راجل أكبر من ابويا..



قررت كمان ارجع بالعينات المكتب واسيب الشغل ذات نفسه، إلا أني بعد ما مشيت خطوتين لقيت صوت تاني بينده عليا وخطوات مسرعة بتهرول ورايا.. بصيت لقيت شاب نسخة مصغرة من الراجل.. بسهولة شديدة أدركت أنه ابنه.. قال لي معلش متاخدش على كلامه هو عصبي شوية بس طيب والنهاردة مزاجه مش كويس. مرديتش عليه خالص وهزيت دماغي علامة على تقبل الأمر وامتناني لاهتمامه، وبادرت في الانصراف، لكنه مسك دراعي وأصر أني أدخل المحل اللي هو كان مديره الفعلي، واتعرفنا على بعض أكتر وكمان عجبه الشغل وعمل معايا أول أوردر في حياتي.. موقفه ده كان نقطة تحول أصلا في مستقبلي الوظيفي..

ـ "طب أستأذن أنا يا باشمهندس.. باشمهندس أستأذن أنا"..

مندوب المبيعات كررها مرتين

ـ هاه.. اه.. تمام ربنا معاك ويرزقك.. بقولك إيه خلي بالك طويل وأوعى حد يحبطك.

ـ حاضر يا بيه، ومتشكر على الشاي.. نهارك أبيض.





المهدي المنتظر !!

ـ "عمك مهدي أهو يا شريف"

كانت كلمات وائل وهو بيرفع من قدامي كوباية الشاي التانية.. قالها وهو بيضحك ومشي ناحيته وهو بيترقص ويقوله له شريف رجعلك يا مثقف.

اتنطرت من قعدتي وروحت جري عليه وأنا ميت من الضحك، راح رافع عكازه ورمى الجريدة من إيده على الكرسي اللي جنبه وهو بيقول ضاحكاً:

ـ امشي يا ابن الكلب من هنا..

شديت من ايده العكاز وعملت نفسي هضربه بيه وانا بقول له:

ـ مش همشي غير لما تقول آخر نكتة يا فاطر رمضان.. فيه مدرس فاضل بيربي أجيال يفطر رمضان؟

ـ سيبنا لكم انتو الصيام يا بتوع الزيت والطعمية.

ـ انت لسه بتقرأ الجرايد الحكومية يا عم مهدي.. موت بقى يا عم وديتنا في داهية انت وجيلك.



ـ وانت يا بتاع الثورة موديتناش في داهية يا ابن شوقي؟

ـ هتغلط في ثورة يناير هغلط في الزعيم بتاعك.

ناولته العكاز وأنا بحضنه وهو قاعد، وبوسته في دماغه.. سحبت كرسي وقعدت جنبه استمتع بقفشاته.. ناصري معتق.. رائد من رواد القومية والعروبة.. لو غلطت في أبوه يسامحك.. لكن حرف على عبد الناصر مستعد يولع فيك..

الزمن وقف عنده مع الجمهورية المتحدة وتأميم القناة.. تعجبه وتبقى حبيبه لو قعدت قدامه ساكت وباصص له بإعجاب وهو بيدي محاضرة سياسية عن فترة عبد الناصر، بنظارته المكسورة بين العدستين ورابطها بدوبارة.. بدلته القديمة والقميص اللي ملوش أي علاقة تذكر بيها.. كرافت مشجر بألف لون.. عزة نفس وكبرياء متناقض مع هيئته.. إدعاء المعرفة بكل شيء من أول السياسة مرورًا بالفن، حتى الدين بيفتي فيه.. ويا ويله اللي يبدي أي اعتراض على كلامه..

كنا مرة في رمضان.. وعندنا القهاوي أغلبها متعودة تفتح الباب نص فتحة كده في نهار رمضان سواء للمسيحيين أو للمسلمين



الفاطرين.. دخلت مرة وجت قعدتي جنب عم مهدي وقدامه فنجان القهوة وبيشرب شيشة، وإذا بأذان العصر يؤذن في الجامع جنبنا.. لقيت عم مهدي بيشاور لي على واحد قاعد الناحية الثانية وبيقول لي:

ـ عارف يا شريف، الراجل اللي بيشرب هناك ده والأذان شغال ولسه مخلصش هيجي يوم القيامة وحسابه أنه ريقه ينشف ومش هيطول بؤ ميه واحد عشان شرب والأذان شغال..

قلت له:

ـ على أساس انك بتكلمني دلوقتي وانت متوضي وقايم تصلي؟! ده انت بتشيش يا عم مهدي.

بص لي ساعتها بقرف ورفع عليا العكاز وحلف ما هو قاعد طول ما انا جوه القهوة..

الناس دي بركة والدنيا ياما حطت عليهم.. بيقاوموا معاناتهم بالضحكة وعايشين طول عمرهم على شعارات الستينات الحنجورية القومية على الأمل الموعود بأن بكرة أحسن.. أكيد بكرة أحسن بس الصبر.. الزعيم قال بعد الصبر جاي الخير، وهما



مصدقينه وبيدعونا دائمًا للاصطفاف معاهم في طابور الصبر في انتظار الوعد اللي جاي، زي أبطال صموئيل بيكيت ما فضلوا طول المسرحية في انتظار جودو اللي مبيجيش أبدًا ولا هييجي.. لأن مفيش جودو..

مواطن ومخبر !!

فتحت الفيس بوك شوية أسلي نفسي وأعرف آخر الأخبار، وبالمرة أفتح الواتس أشوف كريم صحي وشاف الفويس ولا لسه.. وبرضه لقيته لسه..

السوشيال ميديا بقت محبطة جدًا وتجيب اكتئاب.. أخبار انتحار وحوادث عجيبة دموية بشكل وحشي مكناش بنسمع عنها زمان بالشكل المكثف ده. من دول عربية بتحاصر بعضها، لدول إسلامية بتموت بعضها.. مذابح هنا ومجازر هناك، وإيه ده؟! فستان رانيا يوسف ماله؟! قفلت ثاني وأنا برفع عيني على اتنين أمناء شرطة قاعدين بيشربوا شاي ويانسون.. كنت عايز اسألهم والله على محمد الصعيدي.. هو كان اسمه كده، مخبر في قسم الساحل كان دايما ينزل لنا شارع الورشة لابس ملكي.. ساعات لوحده وأحيانًا معاه واحد ولا اثنين.. هو اسمه الصعيدي، بس معتقدش انه كان صعيدي.. لا يمكن التلامة والغتاتة والبرود دول يطلعوا من صعيدي.. كان كريه ومؤذي بشكل لا يوصف.. كان ساعات



بياخد ناس على القسم تحري وهما نازلين بالبيجاما يشتروا لبن عشان مش معاهم بطاقة.. واحد نازل باليجاما يجيب حاجة من البقال هيشيل بطاقته ليه؟ كانت لما تطلب معاه يكبس على القهوة يأمرنا نقوم نروّح، واللي يفتح بؤه على القسم.. كان يدخل محلات البلاي ستيشن يطفي التليفزيونات ويلطش في اللي قاعدين بيلعبوا.. شر مستطير يسير على قدمين.. مرة دخل عند فتحي الحلاق وأمر زبون يقوم عشان يقعد هو يحلق دقنه ويعمل حواجبه، والزبون قعد ساعة نص ذقنه محلوق والثاني لسه.. كان ليا صاحب في شلتنا نحيف شوية ودايماً مربي دقنه.. محمد الصعيدي حطم الرقم القياسي في تفتيشه لدرجة أنه مرة قال له: يا باشا انت كل مرة تفتشني ومتلاقيش معايا حاجة.. قال له وهفضل افتشك لحد ما ألاقي، ولو كترت في الكلام اعتبرني لقيت..

حكو لي عنه يوم جمعة الغضب لأني كنت في الميدان ومعرفتش أروّح غير بالليل متأخر إن ناس هجمت على القسم يومها وفضلت تجري ورا محمد الصعيدي ده ومحدش خلّصه من إيديهم غير الأهالي نفسهم اللي بعد كل ده صِعِب عليهم.. اختفى محمد الصعيدي من



بعد الثورة ومحدش عرف له طريق.. يمكن اتنقل محافظة ثانية محدش يعرفه فيها ولا له فيها تار أو عداوات مع حد.. الله أعلم.

●●●





بيتنا القديم !!

ـ "كام الحساب يا وائل"

ندهت وائل عشان أحاسبه بعد ما فكرت أقضي الساعتين اللي فاضلين دول في شقتنا الشرك القديمة.. أصل بعد ما أبويا مشي منها ربنا فتح على مصطفى جارنا وأجّر من صاحب البيت الجديد الأوضتين بتوعنا، والراجل سمح له يقفل الشقة عليه عشان خلاص مفضلش غيره بعد رحيل كل سكان الغرف.. صاحب البيت الجديد اشتراه من حوالي ١٠ سنين بعد ما أصحابه القدام اختلفوا على الميراث والبيت فضل فترة متعين له حارس قضائي لحد ما اتفقوا أخيرا وباعوه.. خد هو الشقة اللي في التاني بعد ما راضى سكانها وطلعهم منها، وشطبها تشطيب لوكس وجوّز ابنه الكبير فيها وقعّده معاه هو ومراته وعياله.. لو لقيته باصص من البلكونة هعدي أسلم عليه راخر، بيعز أبويا أوي ودايمًا على اتصال بيه.. اتحركت ناحية البيت ودخلت الحارة أبص على كل شبابيكها وبلكوناتها.. شاورت بإيديا للي كان باصص ورميت نظرة تلقائية



على شباك أول بنت خرجت معاها في حياتي.. اتجوزت من زمان وهاجرت مع عريسها كندا.. كان دكتور أو صيدلي مش فاكر..

بصيت على الشق الشهير فوق بوابة بيتنا.. زي ما هو متغيرش من يوم الزلزال.. كان مسخرة اليوم ده.. ساعتها كنت في المدرسة ولقينا الفصل بيترج بينا.. مكناش نعرف ايه اللي بيحصل.. ثقافة الزلازل دي مكناش بنسمع عنها غير في التلفزيون وهي بتضرب اليابان ولا أمريكا.. تضاربت الأقوال بين الطلبة ما بين حد يقول دي عمارة وقعت جنبنا أو عربية نقل دخلت في سور المدرسة.. أنا وزمايلي في الفصل لقينا قرار المدرسة بانصراف الطلبة فرصة للعبور من الفتحة اللي عملناها في السور الفاصل بين مدرسة شبرا الميكانيكية ومركز شباب الساحل اللي كان صحرا.. يدوب بالعافية لقينا شلة واحدة مزوغة زينا فضلنا نلعب كورة لحد الشمس ما غابت.. مكتفيتش بكده وبدل ما أروّح البيت على طول عديت على محل كشرى أكل..

وهناك عرفت من التلفزيون أن كان فيه زلزال وشفت في التقارير أثاره المدمرة، لكني نسيت أهم حاجة.. أن زمان الدنيا مقلوبة عليا



في البيت.. دخلت الشارع اتمخطر بكل برود.. لقيت أبويا وأخويا الكبير واقفين في الشارع وحواليهم الناس وأمي واقفة في السطوح.. قربت عليهم من غير ما اعرف انهم راحوا المدرسة مرتين واعتبروني في عداد المفقودين.. أبويا وأخويا قاموا معايا بأحلى واجب، وكانت أول علقة أخدها في الشارع وسط الجماهير الغفيرة.

بعد ما الدنيا هديت وأبويا هدي شوية من ناحيتي، وكانت ستي أم أبويا قاعدة وسط جيراننا علي الكنبة، قربت لي اختي وقالت لي شفت ستك اللي بتروح تجيبها من البيت في ساعة وبتطلع السلم في ساعتين؟

قلت لها: مالها؟

قالت لي:

ـ كنا كلنا قاعدين وأول ما الزلزال قام حصلت ربكة وقلنا البيت بيقع.. دخلنا صحّينا أبوك ونزلنا كلنا جري على الشارع، لقينا ستك نزلت قبلنا كلنا وواقفة في الشارع وعمالة تقول ولدي ولدي



هاتولي ولدي شوقي من فوق.. جريت أسرع من ربيع ياسين في عز مجده.

طلعت ملهوف أشوف مصطفى وعياله وبالمرة أقعد في حضن الشقة اللي اتربيت فيها شوية من نفسي استعيد الذكريات.. وحشاني أوي.. مصطفى غيّر الباب وشكله صرف عليها.. ده مركب جرس كمان.. ضربت الجرس مرة واتنين وثلاثة محدش رد.. الظاهر مش موجودين.. نزلت.. الشباك اللي بيطل من المطبخ على السلم في شقة الحاج اللي تحتنا اتفتح.. لقيت واحدة معرفهاش.. تقريبا دي مرات ابن الحاج:

ـ عايز مين يا أستاذ؟

ـ كنت طالع اسأل على مصطفى.

ـ لا والله هما النهاردة الصبح سافروا البلد. مكلمتوش في التليفون ليه؟

ـ مفيش مشكلة، أبقى أجيله وقت تاني.. الحاج موجود؟

ـ لا والله في مشوار.. نقول له مين لما ييجي؟



ـ شريف.. قوليله شريف ابن شوقي اللي كانوا ساكنين هنا.. سلامو عليكم.

نزلت وأنا واخد قرار أروّح البيت.. اتضايقت أوي أني مدخلتش الشقة.. معلش ملحوقة.

ـ "واد يا شريف إزيك"

كانت غالية جارتنا.. أجدع واحدة في الشارع.. كانت ممرضة عمرها ما اتأخرت ثانية عن معاد حقنة أمي الله يرحمها رغم معاناتها الشخصية مع جوزها شحاتة.. كان راجل مش بتاع شغل ومشحططها وراه في مشاكله..كان بيقعد على القهوة يلعب بالساعات وكنت بشوفها أحيانا نازلاله في نص الليل واقفة من بعيد تبعت له عيل صغير، واشوفه وهو قايم متأفف وغضبان انها قوّمته عشان تاخد منه حق علبة جبنة ولا نص كيلو لبن للعيال.. كان كريه.. هي بقى كانت بتحب أمي أوي حتى من قبل ما تتعب في أيامها الأخيرة وكنت ساعات اسمع شكوتها و ردود أمي عليها بنصايح الصبر والصلاة عشان العيال..

ـ ازيك يا غالية



ـ ازيك انت يا غالي يا ابن الغالية يا ريحة الحبايب.

ـ أمي كانت بتحبك أوي يا غالية.

ـ وأنا والله يا شيفو.. ابقى تعالى متغيبش كده، وسلم علي أبوك.

ـ هاجي يا غالية.. هاجي كتير والله.

مشيت على المترو وأنا في مشاعر متضاربة من الفرح بكم الذكريات اللي صحيت والناس اللي قابلتها بعد غيبة، ومن الشجن على اللي غاب وراح، وعلى السنين الحلوة اللي مش راجعة تاني.. كان كتير أوي ٨ سنين غياب عن شبرا.. شبرا عصية على النسيان. هروح البيت واحكي لمراتي وولادي أكتر عن شبرا.. هجيبهم سانت تريزا ونولع من عندها شمع لكل الحبايب وأفرجهم جامع الخازندار. هدخّلهم ممر الراعي، ولو مشترييناش نتفرج وأغديهم من كشرى عرفه.. هصورهم في كادو وأشاور لهم على مدرستي، هقعّدهم في هابي لاند على الكورنيش وأعشيهم عند صبحي أو بيبو..

ايه ده؟ أبويا بيتصل

ـ أيوه يا شريف أنت فين؟ أنا وصلت القاعة

ـ قاعة إيه؟



ـ قاعة العزاء يا زفت

ـ عزاء؟! عزاء مين؟! آاااه أنا في المترو وروّحت يا زعيم هستناك نتعشى سوا.

ـ طب يا روح أمك دبستني وخلعت.. لما أخلّص هكلمك يا مسطول.

أبويا قفش.. لما أكلم المدام تعمل حسابه في العشاء..

يا ترى كريم شاف الفويس ولا لسه؟ يوووه لسه..





الختام !!

ساعات بشتاق ليوم عشته وأنا صغير

لشكلي قبل ما اتغير

لأيام فيها راحة البال

عشان كنا ساعتها عيال

ساعات بشتاق للحب القديم

ولصوت عبد الحليم

لنومي في حضن لبس العيد

وإحساس أن بكرة بعيد

●●●

